جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِّيْعِيّ

تُرَاثُ الحِلَّة

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بالتُّرَاثِ الحِلِّيّ

تَصْدُرُ عَنْ:

العَتَبَة العَبَّاسِيَّة المُقَدَّسَة

قِسْمِ شُؤُونِ المَعَارِفِ الإِسْلامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ

مَرْكَزِ تُرَاثِ الحِلَّةِ

مجازة من جامعة بابل

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة (الأولى) / المجلد (الأول) / العدد (الأول)

١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحلَّة

تراث الحلَّة : مجلة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحلِّي / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحلَّة.- الحلَّة : الأمانة العامَّة للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحلَّة ؛ ١٤٣٧هـ. = ٢٠١٦.

مجلَّد : ايضاحيات ؛ ٢٤ سم

فصليَّة

العدد الاول، المجلد الاول (٢٠١٦)-

ISSN 2412-9615

المصادر.

النص باللغة العربية ؛ مستخلصات بالعربية والإنجليزية.

١. الحلَّة (العراق) ـ تاريخ--دوريات ٢. الشعر العربي--العراق—الحلة--دوريات .ألف. العنوان.

A8374 2016 DS79.9.H55

الفهرسة والتَّصنيف في العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة

شعرية الرثاء الحُسيني عند السَّيد حيدر الحلي

The Poetics of Sayyid Haider Al-Hilli 's Husseini Lamenting Poems

م. د. وسام حسين جاسم العبيدي

كلية الإمام الكاظم عليه السلام

فرع واسط

Dr. Wisam Hussein Jassim Al-Ubeidy

Imam Al-Khadhum College

Wasit Branch

ملخص البحث

كان للشِّعر- وما زال- ميدانٌ واسعٌ في قضية شهادة الإمام الحسين عليه السلام التي ارتجفت لهولها الأكوان، فكيف لا ترتجف لها مُخيَّلة الشاعر الإسلامي بعامَّة، والشيعي العلوي بخاصَّة، ومن أبرز هؤلاء الشاعر السيد حيدر الحِلِّي (ت ١٣٠٤هـ) الذي ما ذُكِر اسمُهُ إلا وذُكِرَت قصائدهُ الشهيرة بـ(الحوليَّات) في رثاء الحُسين عليه السلام، وهذا ما دفع الباحث إلى الوقوف على هذه القصائد التي اشتملت على جُملةٍ من الخصائص الموضوعيَّة والفنيَّة، واستجلائها عبر مُعاينة نسيجها النصِّي، ومُحاولة البحث عن سر هيمنتها الأدبيَّة على سائر نصوص الرثاء الحسيني لشعراء الرثاء الحُسيني.

وقد درست في المبحث الأول شيئًا من حياة الشاعر وعصره الأدبي، ومن ثمَّ بالتعريف بغرض الرثاء مفهومًا ومصطلحًا أدبيًّا، إيمانًا منِّي بأنَّ هذه المحاور تساهم في إضفاء الصورة كمالًا لمن يريد استجلاء القيم الموضوعيَّة والفنِّية في شعر الرثاء الحُسيني للسيد حيدر، ومن ثَمَّ تطرَّقت في المبحث الثاني إلى شعرية الرثاء الحسيني في شعر السيد حيدر، وهي موضوعة استأثرت باهتمام كثيرٍ من المدارس النقدية الحديثة، حيث بدأت- كما ذكرنا في محلَّه من البحث- منذ بداية القرن العشرين إلى يومنا هذا، وحاولنا في هذا البحث استجلاء حقولٍ وظِّفت الشعريَّة فيها مقتصرًا في ذلك على محورين تجلى من خلالها شعرية الرثاء الحسيني وهما: التناص والمفارقة، وفي الختام تبين من خلال التحليل أنَّ الشاعر لم يألُ جهدًا في استنزاف أكبر قدر ممكن من قدراته الفنية في سبيل الرقي بنسيج النص، علاوة على ما كان يمتلكه من رصيدٍ في مخيال مجتمعه الذي أكنَّ له غاية الاحترام وكلُّ ذلك تضافر معًا لجعل رثائه مؤثِّرًا في النفوس، الأمر الذي شكل علامة فارقة ميزت شعر السيد حيدر عن سواه من شعر الآخرين الذين عاصروه.

Abstract

Since its shocking incidence, the martyrdom of Imam Hussein (pbuh) has been the main theme of Muslim poets, especially the Shiite ones. But the one who has a special status in this regard is the Iraqi poet, Sayyid Haider Al-Hilli (died 1304 H) who is always mentioned for his Hawliyyat (lit. yearly poems) which were entirely dedicated to lamenting Imam Hussein (pbuh). It is because of their superb quality that this paper studies those poems to highlight their objective and poetic features through examining their texture in an attempt to discover the secret of their dominance over all other poems carrying the same theme.

The first part of this paper introduces the life and the literary era of this poet and defines lamentation as a term and literary concept. The second part scrutinizes the poetics of Hawliyyat for which much attention has been given to it by many modern schools of literary criticism.

The paper tries to shed light on these poems through two poetic features; namely, intertextuality and irony concluding that the exceptional status of Sayyid Haider Al-Hilli's poems stems from the fact that he had utilized all his poetic talents and heartfelt feelings in them, the matter which gave them eternal life.

المقدّمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا مُحَمَّد وآله الطيِّبين الطاهرين.

وبعد.. فإنَّه لا يخفى على كثيرٍ من الدارسين في ميدان الأدب، ما أدَّاهُ رثاءُ الإمام الحسين عليه السلام من أثرٍ بارزٍ في مختلف الأزمان التي تلت مقتله، فلقد كان لهذه الوقعة صدىً مُدوٍّ ما انفكَّ يقدحُ شررًا في ضمير الثائرين والمُنتفضين في وجه الطُغاة الذين ابتُلِيت بهم الأمة الإسلاميَّة، ومن علامات مظلومية الحسين عليه السلام هو استمرار شرارة هذه الواقعة ما دام الدهر؛ لِما كانَ لها من طبيعةٍ مأساويَّةٍ لم يُسبق لها مثيل في الوقائع الإنسانيَّة كلِّها على مرِّ العصور، ولذا تعاهد آل الحُسين عليه السلام رثاءَهُ، وزاد على ذلك أنَّ هذا الرثاء جُعل من أجلى مظاهر عقيدة المُسلم المُوالي لآل بيت النبيِّ الأكرم عليهم السلام، وهذا ما دلَّت عليه معظم أحاديثهم عليهم السلام التي سنعرض بعضًا منها في تمهيد هذا البحث.

لقد تنامى غرضُ الرثاء في الشعر العربي لاسيَّما بعد واقعة كربلاء التي حرَّكت الوجدان الإنساني أينما كان؛ وذلك لأسباب أعتقد أنَّها باتت واضحة لكلِّ قارئٍ لحوادث التاريخ البشري، فما حصل في كربلاء من فظائع وأهوال وهتك لحُرَم الإمام المعصوم عليه السلام ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقتل لأطفالٍ أبرياء، كفيلٌ بأن يثير كوامن النفوس البشريَّة السويَّة على الإطلاق.

وقد أخذت مظاهر الحزن على مقتل الإمام الحُسين عليه السلام تزداد عند شيعته، وباهتمام لدى سائر فرق المُسلمين الذين أظهروا مودَّتهم للنبي وآل بيته عليهم السلام، ولكنَّ ما يُلفت النظر أنَّ العلويِّين من شيعة أهل البيت قد اتَّخذوا الحُزن على الحُسين عليه السلام شعارًا لهم، وأخذوا يُقيمون المآتم، ويندبون قتلاهم، ويذكرون شهداءهم الذين قدَّموا أرواحهم قرابين على مذبح العقيدة، ومن المُسلَّم به أنَّ المصائب دائمًا تستجلب العطف وتستدرُّ الحنان، فكيف بمأساة الحُسين

وآلـه عليهم السلام، وما صحب تلـك المجزرة البشريَّة من تنكيل، الأمر الـذي دفع العلويِّين إلى إقامة المآتم على الحُسين وأهل بيته عليهم السلام وتجديد ذكراه في كلِّ عام.

وكان للشـعر – وما زال – ميدانٌ واسـعٌ في هذه القضيَّة الخالدة التـي ارتجفت لهولها الأكوان، فكيف لا ترتجف لها مُخيَّلة الشـاعر الإسلامي بعامَّة، والشـيعي العلوي بخاصَّة، ومن أبرز هؤلاء الشاعر السيد حيدر الحِلِّي (ت ١٣٠٤ هـ/ ١٨٧٨ م) الذي ما ذُكِر اسمُهُ إلا وذُكِرَت قصائدهُ الشهيرة بـ(الحوليَّات) في رثاء الحُسين عليه السلام، وهذا ما دفع الباحث إلى الوقوف على هذه القصائد التي اشتملت على جُملةٍ من الخصائص الموضوعيَّة والفنيَّة، واستجلائها عبر مُعاينة نسيجها النصِّي، ومُحاولة البحث عن سر هيمنتها الأدبيَّة على سائر نصوص الرثاء لشعراء الرثاء الحُسيني، وهذه مُهمَّة جليلة أزعُم أنِّي قد ركبت مركبًا خطرًا، ولكنِّي أودُّ الاعتراف قبل البدء بالمُهمَّة بأنِّي سأبذل جُهدي بما وفَّقني فيه ربِّي، فهو حسبي وحسب كلُّ من توكَّل عليه.

وقد درسـت في المبحث الأول شـيئًا من حياة الشـاعر وعصره الأدبي، ومن ثمَّ بالتعريف بغـرض الرثاء لغة واصطلاحا، إيمانًا بأنَّ هذه المحاور تُسـهِم في إضفـاء الصورة كمالًا لمن يريد استجلاء القيم الموضوعيَّة والفنِّية في شعر الرثاء الحُسيني للسيد حيدر الحلي، ومن ثَمَّ تطرَّقت في المبحث الثاني إلى شـعرية الرثاء الحسيني في شعر السيد حيدر، وهي موضوعة استأثرت باهتمام كثـيرٍ من المـدارس النقدية الحديثة، فبـدأت – كما ذكرنـا في محلِّه من البحث – منـذ بداية القرن العشريـن إلى يومنا هذا، على الرغم من تأصيل بعض الدارسـين لهـذه الموضوعة منذ بزوغ أوّل درس نقدي عرفته الإنسانية، أي في كتاب (الشعر) لأرسطو، ولا يهمنا كثيرًا صحة هذه الأقوال من عدمها، إنما وكدنا في هذا البحث هو استجلاء حقولٍ وظِّفت الشعريَّة فيها، وسأطوي تلك الحقول؛ وذلك لأنا لو تعرضنا إلى كلِّ حقول الشعرية لخرجنا بكتابٍ كامل لا بحثٍ محكوم بعدد معين من الصفحات؛ لذا سـيقتصر الباحث على حقلين منها، وهما: التناص والمفارقة، وسـيأتي بيان المقصود من هذين الحقلين في محلِّهما من البحث.

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما فيه خير الدارين وكل ما تقرّ به عين، والحمد لله أوَّلًا وآخرًا.

المبحث الأول

مدخل إلى الشاعر ورثائه الحُسيني

أولًا: الشاعر وعصره الأدبي

١. الشاعر

وُلِدَ الشاعر في الحِلَّة ليلة النصف من شعبان من سنة (١٢٤٦هـ)، ومات أبوه السيد سليمان الصغير سنة (١٢٤٧هـ)، فاقترن السيِّد مهدي- عمّ الشاعر- بزوجة أخيه، وعمر ولدها حيدر أقلُّ من عامين، فنشأ في حجر عمِّه[١]، ومن ثمَّ درج يتعلَّم مبادئ العلوم الدينيَّة على يد عمِّه السيد مهدي في مسجد (أبي حوَّاض) وكذلك الشيخ حسن محمّد صالح الفلّوجي[٢]، وفي مقدّمة تلك العلوم اللغة والأدب، ومن ثَمَّ قرأ دواوين فحول الشعراء وأخبارهم.

أمَّا وفاتهُ رحمه الله، فقد كانت في الحلة مسقط رأسه سنة (١٣٠٤هـ/ ١٨٧٨م)، أي أنَّ عمره كان ثمانٍ وخمسين سنة، وقد دُفِن في النجف الأشرف في الجهة الشمالية من الصحن الحيدري، فيما يُعرف بالساباط العلوي[٣].

٢. عصره

لا بُدَّ لنا قبل الخوض في شاعريَّة السيِّد حيدر الحلي التي ميَّزته بين شعراء عصره، أنْ نُعرِّج على عاملين كان لهما عظيمُ الأثر في إنضاج موهبته الإبداعية، وهما: العامل الذاتي والعامل الموضوعي.

العامل الذاتي

من الطبيعي أنْ تضرب وشائج النسب على السيد حيدر، التي تمثَّلت بسلسلةٍ من الشعراء الذين توارثوا الشعر والأدب خلفًا عن سلف، وهذا يعني أنَّه كان سليلَ بيتٍ له في الشعر والأدب القِدْحُ المُعلَّى، فقد اتَّفق له أنْ يكونَ شاعرًا وابن شاعر وابن أخي شاعر وحفيد شاعر وأبًا لشاعر وعمًّا لشاعر، وأمَّا كونه حفيد شاعر فجدُّهُ السيّد سليمان الكبير من مُؤسِّسي دولة الأدب في الحِلَّة، أمَّا كونه ابنَ شاعر فأبوه السيّد سليمان الصغير، وأمَّا كونه ابن أخي شاعر فعمُّهُ السيّد مهدي السيد داود من شعراء عصره، وأمَّا كونه والد شاعر فابنه السيّد حسين الشاعر الأديب الذي اشترك في رثاء أبيه وساجل أدباء عصره، وأمَّا كونه عمَّ شاعر فابنُ أخيه الشاعر المُفلِّق السيد عبد المُطّلب الحِلِّي الذي شارك في بعث النهضة الأدبية، وديوانه حافلٌ بالقصائد الوطنيّة ومحاربة الاستعمار الانكليزي بصرامة وقُوَّة وعقيدة(٤).

ومن العوامل الذاتيَّة الأُخر التي أخذت مأخذها في إنماء الحسِّ الشعري اللاهب في قصائد الرثاء الحسيني عند السيد حيدر، أنَّ انتماءه النسبي الذي أشعره بأنَّ له الأولويَّة في الأخذ بثأر من اعتدى على جدِّه الحُسين وآل بيته الطاهرين عليهم السلام، لاسيَّما أنَّ هذا الشعور بالمسؤوليَّة المتنامي في وجدانه يتنامى أكثر فأكثر حين يجد مُناخًا خانقًا؛ مردُّهُ إلى تعسُّف ولاة الدولة العثمانيَّة آنذاك في سياستها مع أتباع أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، فقد عدَّتهم الدولة العثمانيَّة- التي تسربلت جلباب الدين- أقرب إلى الفرس ودولة إيران؛ بسبب التشابه في المذهب الديني فحاربتهم وأبعدت أبناءهم عن مناصب الدولة(٥)، وهذا ما دفع الشاعر الشيعي بعامة والعلوي المنسوب إليهم بخاصَّة أن يُعبِّر من صميم تجربته الذاتيَّة في رثائه لمأساة يوم الطف؛ إذ تترسَّخ المصيبة أكثر في ذهنه حين يجد نفسه وكل من يوالي أئمة أهل البيت النبوي عليهم السلام يُعاني ظلم الطغاة وجورهم في عصره الراهن، فتنبجس قريحتهُ رثاءً حارًّا عليهم؛ ليُنفِّس عن تجربته المُعاصرة بتذكُّر ما أصاب عترة خير البشر من مآسٍ وآلام، فيجعل ما يستعرضه في شعره من تلك الحوادث التاريخية المُؤلمة معادلًا موضوعيًّا لتجربته الراهنة، ولعلَّ هذا الحافز كان سببًا في أن يكون شعر شعراء الشيعة أجود مقالًا وأرصن عبارة وأقوى تركيبًا فضلًا عن تميّزه بالخيال

الخصب الذي يمدّه بأفانين الصور الفنية التي دائمًا ما تقود صاحبها إلى التفرّد والإبداع عن سواه ممّن ينظم المراثي الحُسينيَّة، زيادةً على ذلك أنَّهم أولوا الجانب المعرفي اهتمامًا منقطع النظير في إذكاء الموهبة الشعريَّة لديهم(٦).

وبحسب رأي الباحث، فإنَّ من أبرز الذين تنبّهوا على تهيُّؤ العامل الذاتي المُتمثّل بالقدرة المُبدعة على تصوير آلام النفس ولواعجها في فن الرثاء عند السيد حيدر، هو الدكتور محمد مهدي البصير، فقد أشار أكثر من مرّة إلى استعداده الفطري القوي للتعبير عن الحزن أيًّا كانَ نوعه وأيًّا كان مصدره، وبهذا جعل يفسِّر كثرة قصائد الرثاء من بين سائر أغراض شعره(٧)، وقد ذهب الدكتور البصير أكثر من هذا حين علّل تميّزه الشعري في فنِّ الرثاء بضعف بنية جسمه واعتلاله، الأمر الذي أودى به إلى الرثاء بصورة ملفتة(٨).

العامل الموضوعي

ويتمثَّل العامل الموضوعي بجملةٍ من الأنساق الخارجيَّة التي تأخذ أثرها في توجيه ملكة الشاعر، وشحذ شاعريَّته، وكان من بين تلك الأنساق هو النسق الثقافي الذي عاش فيه الشاعر، ومن الواضح- طبعًا- أنَّه لم يكن غير الثقافة الإسلاميَّة زادًا له ولغيره من شعراء العراق والعالم العربي، فقد ظلّت قائمةً في أروقة المساجد، وحلقات المدارس الدينيَّة، هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى فقد كان للموقع الجغرافي الذي تميَّزت به الحِلَّة من بين سائر المُدن العراقيَّة، أثرٌ ذو بال في إنماء شخصيَّة الشاعر؛ فقد كانت «مركز نهضة ثقافة عظيمة بزغت شمسُها في أوائل القرن السادس للهجرة حتَّى أوائل القرن العاشر، حيث [كذا، والصواب ثمَّ] انتقلت الثقافة العربية الإسلاميَّة إلى كربلاء، ثمَّ ما لبثت أن انتقلت إلى النجف الذي لا [كذا، والصواب ما] يزال مركزًا عظيمًا من مراكز الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة»(٩)، فقد كانت الحِلَّة إبَّان حياة السيِّد حيدر موطنًا من مواطن الشعر، وحسبُها محضنًا طبيعيًّا لإنتاج الشعراء الكبار أنَّها تُطِلُّ على جانبي الفُرات بالقُرب من بابل القديمة، وقد تعانقت عليها ظلال النخيل وأفياء الشجر الوارف، وعلى مدًى غير بعيد منها تنساب الفروع والجداول خلال الواحات الخضر، لذا كانت الظاهرةُ

الأدبيَّة فيها كنتيجةٍ مفروغٍ منها، فلا نعجب إذا تعدَّد فيها الشعراء، بل كان الشعر فيها يواتي حتى الأُمِّيين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون فيأتي على ألسنتهم عذبًا جميلًا لا خروج فيه على قواعد اللغة والأوزان العروضيَّة[١٠].

ومن العوامل الموضوعيَّة الأخرى التي ساعدت على شبوب شاعريَّة السيِّد حيدر، هو ما لقيه من تقدير بعض الأسر العلميَّة والأدبيَّة وبعض الأعيان[١١] الذين أغدقوا على الشاعر وغيره من شعراء عصره، أموالًا وهدايا، تشجيعًا لهم على النظم الشعري، هذا على الرغم من عدم سدِّها حاجتهم، الأمر الذي دفع الكثير منهم إلى العمل في الأسواق للحصول على رغيف الخبز، إلا أنَّهم لم يتركوا نظم الشعر وقرضه[١٢].

وإذا سلَّطنا هذه المُوجِّهات الذاتيَّة والموضوعيَّة على شخصيَّة السيّد حيدر الشعريَّة، نجد أنَّها قد تواشجت فيه وعُجِنَت بلحمه ودمه، فمن الطبيعي أن يأتي رثاؤهُ في الإمام الحُسين عليه السلام رثاء إنسانٍ موتورٍ حسَّاس يرى حقوقه مُهدرة وكرامته جريحة، بل يرى نفسه حين يرثيه عليه السلام أنَّه يرثي أقرب الناس إليه الذين يعزُّهُ عزُّهم ويرفعه مجدُهم ويُباهي ببطولاتهم وحروبهم[١٣]، فضلًا عن ما عاناه من يُتمٍ في مرحلة الطفولة، وما مُنِيَ به من فقرٍ ومرضٍ في الكِبر[١٤].

وإذا أكَّدنا هذا الجانب، فلا يعني أن نُقلِّل من أصالة الموهبة الشعرية لديه بمجرَّد القول: إنَّ دوافع نظم الشعر الحُسيني لدى السيد كانت تنطلق في إطار ردِّ الاعتبار الشخصي له، وهذا يعني أنَّ الإبداع لم يكن سوى ردِّ فعلٍ شخصي، ويختفي باختفاء هذه الدوافع، هذا القول لا يمكن التسليم به إذا علمنا بأنَّ السيد حيدر كان شاعرًا بالفطرة لا يفتأ ينظم الشعر في الأغراض والمناسبات جميعها على الرغم من ضيق العيش وشظفه الذي كان يُعانيه وقتئذ، وهذا ما يُشير إليه في قوله شعرًا[١٥]:

لا عدا ميسمُ الهجاء أُناسًا
كان وسمُ المديح فيهم غريبا

صبغ الله أوجه البيض والصفـ
ـر بحظٍّ الذي يكون أديبا
كم أعارت محاسن الدهر قومًا
مَلئوا عَيْبَةَ الزمان عيوبا

وقوله[١٦]:

وحسبُ نفسي وإنْ أصبحتُ ذا عُدُمٍ
من ثروةٍ أنَّني مُثرٍ من الأدبِ

ومن الشواهد التي تدُلُّ على علوِّ كعبه بين شعراء عصره واختصاصه بالمقام السامي في تسنُّم زعامة الشعر بعامَّة والحُسيني بخاصَّة، ما يأتي:

أ. **كرامة معنويَّة (روحيَّة)**: وهذه التكريم لا يحظى به إلا من كان ذا حظٍّ عظيم من المحبَّة عند الله وأوليائه المعصومين، فيلتقي في عالم الرؤيا أو الواقع مع أحد المعصومين عليهم السلام، وهذا ما كان للسيِّد حيدر، إذ رُوِي[١٧] أنَّه في عالم الرؤيا رأى السيِّدة الزهراء عليها السلام، فأتى ليُسلِّم عليها، فلمّا دنا منها قالت له موجِّهة الخطاب له[١٨]:

أناعِيَ قتلى الطفِّ لازلت ناعيا
تهيج على طول الليالي البواكيا
أعِدْ ذكرَهم في كربلا إنَّ ذكرَهمْ
طوى جزعًا طيَّ السِجلِّ كتابيا

يقول السيِّد: فأخذني البكاء وانتبهت، وأنا أحفظ البيتين وجعلت أتمشَّى في غرفتي وأردِّدها، ففتح الله سبحانه وتعالى عليَّ أنْ قلت مُكمِّلًا:

ودع مُقلتي تَحمَرُّ بعد ابيضاضِها
بِعَدِّ رزايا تترُكُ الدمعَ داميا

سَتَنْسَى الكَرى عينٌ كأنَّ دموعها
حَلِفْنَ بمن تنعاهُ ألاّ تلاقيا

إلى آخر القصيدة، أمَّا في عالم الواقع فقد نُقِلَ أنَّه تشرَّف بلقاء الإمام المهديِّ المُنتظر عجل الله فرجه في طريقه إلى كربلاء يوم العاشر من المُحرَّم ليُنشِدَ قصيدته التي مطلعها[١٩]:

الله يا حامي الشريعة
أتقرُّ وهي كذا مروعه

يستنهض بها الإمام الغائب المنتظر عجل الله فرجه، ويرثي بها جدَّه الإمام الحُسين عليه السلام[٢٠].

وقد ذكرنا آنفًا أنّه ولِد في ليلة مولد الإمام الثاني عشر من سُلالة أهل البيت عليهم السلام الغائب، وتوفّاه الله سبحانه وتعالى في سنة جَدْبٍ، ولكنَّ الكرامة الإلهية لهذا الشاعر تمثّلت في أنْ يكون يوم وفاته إيذانًا بانهمار السماء كالميزاب، وهكذا أصبحت مكانة الشاعر بعد موته بنظر كثير من الناس مكانة مقدَّسة[٢١].

ب. **كرامة اجتماعيَّة**: تمتَّع السيد حيدر بإعجاب السواد الأعظم من علماء عصره وشعرائهم وأدبائهم، فضلًا عن العوامِّ من الناس، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يدُلُّ على سُموِّ مقامه الاجتماعي والأدبي على حدٍّ سواء، ويكفينا دليلًا على ذلك ما نقله التاريخ الأدبيُّ لنا، حين رثى السيد حيدر العلاّمة السيد جعفر القزويني (ت١٢٦٥هـ) بقصيدته الشهيرة، التي كان مطلعها[٢٢]:

قَدْ خَطَطْنا لِلْمَعالي مَضْجَعا
ودَفنَّا الدينَ والدُنيا معا

وكان السكوت المطبق من الآخرين، هو الذي دفعه أن يخاطب الشاعر (محسن الخضري) (ت ١٣٠٢هـ) بقوله: «إذا كان في المجلس من أعتب عليه لصمته وتغافله عن أداء حقِّ هذه المرثيَّة، فهو أنت»[٢٣]، فلم يبق للخُضَري إلا أن أجابه شعرًا، وهو قوله[٢٤]:

ميَّزتني بالعَتْبِ دُونَ مَعاشرٍ
سَمِعُوا وما حيٌّ سواي بسامعِ
أخرسْتَني وتَقُولُ: مالَكَ صامتًا؟
وأمتَّني، وتقولُ: مالكَ لا تعي؟

وهذا ما أوجب «أن يتضاءل أمامه الأدباء من خصومه، وينسحبوا عن تعصُّبهم ويضجُّوا بالاستحسان لمرثيَّته والاستعادة لها، والإشادة بها»[٢٥]، وغير ذلك من الشواهد الكثيرة التي تفصح عن إعجاب منقطع النظير بشعره[٢٦].

٣. الرثاء الحُسيني

بدءًا علينا أنْ نُعرِّج على مفهوم الرثاء لُغةً واصطلاحًا، ومن ثمَّ الوقوف على تطوُّر غرض الرثاء الحُسيني في الشعر العربي بعامّة، وعند السيد حيدر الحلي بخاصَّة.

الرثاء (لُغةً): قال الخليل في باب (رثي): «رَثَى فُلانٌ فُلانًا يَرْثِيهِ رَثْيًا ومَرْثِيةً، أي: يبكيه ويَمْدَحُهُ، والاسم: المَرْثية... والمُتَرثِّي: المُتَوَجِّع المفجوع»[٢٧].

الرثاء (اصطلاحًا): «غرضٌ من أغراض الشعر العربي البارز يتَّسمُ بصدق الشعور والعاطفة القويَّة؛ لكونه يصدرُ عن قلبٍ كسير ونفسٍ مُلتاعة، وهو المجال الفسيح الذي يُطلَقُ فيه العنان للعواطف لِتُنفِّسَ عمَّا تحُسُّ به من ألمٍ وحُزنٍ وبُكاءٍ ودموع»[٢٨].

وقد تنبّه بعض الباحثين إلى أنَّ في غرض الرثاء أغراضًا ثانويَّة يُطلق على أيٍّ منها فن الرثاء، وهي كالآتي:

١. **التأبين**: «هو إذا ذكَرْتَه بعد موته بخير... [أو] الثَّناءُ على الرجل في الموت والحياة»[٢٩]، فهو إذن ليس نواحًا على الميت، بل هو أقرب إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، فالشاعر يعبر فيه عن حزن الجماعة التي نُكِبَت بفقد هذا الشخص[٣٠]، ويقوم الراثي بمدح الميت وإسباغ صفات الثناء على المرثي بذكر مناقبه، وتعداد محامده، فضلًا على تصوير شعور فاقديه الحزين.

٢. **العزاء**: وهو- لغةً- يأتي بمعنى «الصبر عن كلِّ ما فقدت»[٣١]، وهو مرتبة فوق مرتبة

التأبين، إذ ينفذ الشاعر من حادثة الموت الفرديَّة التي هو بصددها إلى التفكّر في حقيقة الموت والحياة[٣٢]. ومن مرادفات العزاء، التَّأَسِّي والتَّأْسِيَة، وهي التَّعْزِيَةُ، مشتقٌّ من أَسَّيْته تَأْسِيةً أَي عَزَّيته، وتَأَسَّوْا بِمَعْنَى تَعَزَّوا[٣٣]. وقد ورد في شعر الخنساء ترثي أخاها صخرًا قولها[٣٤]:

وما يبكون مثلَ أخي ولكنْ

أُسلِّي النفسَ عنهُ بالتأسي

٣. **النَّدب**: وهو مُشتقٌّ من «نَدَبَ الميتَ أَي بكى عليه وعَدَّدَ مَحاسِنَه يَنْدُبه نَدْبًا والاسم النُّدْبةُ... وهو من النَّدَب للجراح لأَنه احْتِراقٌ ولَذْعٌ من الحُزْن والنَّدْبُ أَن تَدْعُوَ النادِبةُ الميتَ بحُسْنِ الثناءِ»[٣٥]، واصطلاحًا هو «بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيئنُّ الشاعر ويتفجَّع»[٣٦]، أي هو البكاء على الميِّت بعبارات وألفاظ تحزن لها القلوب، وتدمع لها العيون.

٤. **النَّعيُ أو النَّعِيُّ**: وهو خَبَرَ المَوْتِ أو هُوَ الدُّعاء بِمَوْتِ الميِّتِ والإِشْعارُ بِهِ، وَالنَّاعِي: الَّذِي يأْتي بِخَبَرِ المَوْتِ[٣٧].

ومن هذه الدلالات المُتقدِّمة يتَّضح أنَّ الرثاء ما هو إلاَّ مديحٌ للميِّت وثناءٌ عليه بذكر مناقبه، وإشادة بفضائله، ولذا اعتمد النُّقّاد القدامى في تفريقهم بين المديح والرثاء على الصيغة اللفظيَّة التي تُميِّز بينهما، ومثال على ذلك قول قُدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ): «ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل: كان وتولى وقضى نحبه وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته»[٣٨]، والرأي نفسه نجده عند ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ)[٣٩].

ولا يخفى على المُطَّلع أنَّ رثاء الحُسين عليه السلام عُدَّ من أولويات هُويَّة الموالي لآل البيت الطاهرين عليهم السلام، بل شجَّع أئمة أهل البيت عليهم السلام أتباعهم على أنْ يُظهروا ولائهم في ما ينظمون من أشعار، ولاسيَّما رثاء الإمام الحُسين عليه السلام شعرًا، ومن هذه الأحاديث ما يأتي:

١. قال الإمام الصّادق عليه السلام: (مَنْ قالَ فينا بَيْتَ شِعْرٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا في الْجَنَّةِ)[٤٠].

٢. وعنه عليه السلام أنَّه قال: **(ما قال فينا قائل بيت شعر حتّى يؤيّد بروح القدس)**[٤١].

٣. وقال أيضًا عليه السلام مُخاطبًا أحد أصحابه: **(يا أبا عمّارة، من أنشد في الحسين بن عليّ شعرًا فأبكى خمسين فله الجنّة. ومن أنشد في الحسين شعرًا فأبكى ثلاثين فله الجنّة. ومن أنشد في الحسين شعرًا فأبكى عشرين فله الجنّة. ومن أنشد في الحسين شعرًا فأبكى عشرة فله الجنّة. ومن أنشد في الحسين شعرًا فأبكى واحدًا، فله الجنّة. ومن أنشد في الحسين شعرًا فبكى فله الجنّة. ومن أنشد في الحسين شعرًا فتباكى فله الجنّة)**[٤٢].

٤. قال الإمام علي بن موسى الرِّضا عليه السلام: **(ما قال فينا مؤمن شعرًا يمدحنا به، إلَّا بنى الله له مدينة في الجنّة أوسع من الدنيا سبع مرّات، يزوره فيها كلّ ملك مقرّب وكلّ نبيّ مرسل)**[٤٣].

وغير ذلك من الأقوال الشَّريفة التي تدل على المضمون نفسه، وهو حثُّ المُسلمين على الثناء عليهم وتذكُّر مآسيهم والتفجُّع عليها، وجعل ذلك من صميم الشعائر الإسلامية التي يُثاب المرء بها ويُكرَّم من لدن خالقه يوم الحساب.

إذن كان من الطبيعي أن يرتقي هذا الفنُّ على سائر الأغراض، بفضل هذه الحوافز التي ذكرناها آنفًا، فضلًا عن إمكانيَّة تطويع الحدث الكربلائي من لدن الشعراء وجعله ستارًا رمزيًّا يطال كلا الجانبين، فما دامت ثنائيَّة الظلم والعدل قائمةً في كلِّ زمان ومكان، كان هناك جبهة حقٍّ تمثَّلت بالحُسين عليه السلام وصحبه، فهو أعلى مثال وأصدقه للحق والعدل وكلِّ المُثل الإنسانيَّة، وكان إلى الجانب الآخر جبهة ظلمٍ وفساد تمثَّلت بيزيد وأتباعه الذين جمعوا كلَّ خصال الشرِّ والقُبح، فلذا مثَّل شعر الرثاء الحُسيني الاحتجاج الصارخ على الظلم والظالمين في كلِّ زمان ومكان[٤٤]، والثورة العنيفة المُطالبة بإرجاع الحقِّ لأهله وإقامة المشروع الإلهي المتمثِّل بدولة العدل التي تقوم على يدِ الحُجَّة المُنتظر حفيد الإمام الحسين عليه السلام، هذه المضامين كلُّها قد توافَّرت في السيد حيدر الحلّي وشعره، فقد وظَّفها بوعيٍ عالٍ، وإنْ أخفق في رسم بعض المشاهد التي سنمرُّ عليها فيما بعد، ولكنَّه كان على العموم آخذًا بالقِدح المُعلَّى في تجريد المشهد الحُسيني من الصورة النمطيَّة التي اعتاد شعراء عصره ومن سبقوه عليها، وهذا ما سينكشف لنا في المبحث الآتي إن شاء الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني

شعرية الرثاء الحُسيني عند السيد حيدر الحلي

مدخل

من الصعب على الباحث – وهو في سياق كتابة بحث محكوم بعدد محدود من الصفحات– أنْ يحيط خُبرًا بكل ما قيل عن مفهوم الشعريَّة في الدراسات النقديَّة؛ فالشعر بوصفه مصطلحًا ومفهومًا أدبيًّا يسهل تصوره، أما الشعرية فهو مفهوم غامض وتجريدي وصعب التحديد، والصعوبة تكمن في تحديد طبيعة الخصائص أو العناصر التي تكونه(٤٥).

وفي طبيعة المقام الذي نكتب فيه هذا البحث عن الشاعر حيدر الحِلِّي، نجد أنفسنا إزاء وفرةٍ من القضايا التي تنضوي تحت خيمة الشعريَّة، ولكن هذا لا يُثنينا عن أهم تلك القضايا التي سنتناولها بصورة مقتضبة، مؤكِّدين أنَّها يمكن أنْ تُبحثَ بصورةٍ أكثر شمولًا واتِّساعًا ممَّا سنتعرَّض له، ولكن (ما لا يُدركُ كلُّه لا يُتركُ جلُّهُ)، وعلى هذا الأساس سنتناول الآتي:

مفهوم الشعريَّة

لابُدَّ أنَّ لكُلِّ علمٍ موضوعًا يتخصّصُ في بيان إجراءاتهِ وتوضيح مساراتهِ التي لا يمكن لعلمٍ آخرَ من توظيف آلياته في ميدان ذلك العلم، ومن هذا المنطلق أكَّد الدارسون في ميدان التنظير النقدي للأدب وتطبيقه– على اختلاف توجُّهاتهم– على أنَّ «موضوع الشعرية يتركز في دراسة الإجراءات اللغوية التي تمنح لغة الأدب خصوصية مميزة تفضلها عن أنماط التعبير الفنية واللغوية الأخرى، هذه الخصوصية تتميز بأنها منبثقة من الأدب ذاته وماثلة في أبنيته التعبيرية»(٤٦)، ولا نريد الخوض بما اكتنف مصطلح الشعريَّة (Poetics) من لبس؛ وذلك

لتعـدد معانيـه ودلالاته وتنـوع تعريفاتـه، وتبايـن المنطلقات الفكريـة والنقدية التـي تنطلق منهـا تلـك التعريفات، فمن حيث الترجمة ترجـم هذا المصطلح ترجمات عدة منها: الشـعرية، الشـاعرية، الأدبية، الإنشـائية، نظرية الأدب، قضايـا الفن الإبداعي، صناعـة الأدب، فضلًا عن (البيوطيقا- فن الصياغة الشـعرية)، وهي التسمية التي شاعت حديثًا، على الرغم من أنها التسمية التي اعتمدها المترجم الأول (بشر بن متى) لكتاب أرسطو (فن الشعر)، بيد أن الشائع في الأدبيات النقدية العربية من هذه المصطلحات، هو مصطلح (الشعرية).

وقبـل أنْ ندخل في صميم اشـتغالنا التطبيقي على نصوص السـيد حيدر الحلي الشـعرية، لا بُدَّ من الإشـارة إلى أنَّ علم الشـعريَّة لم تتبلور مفاهيمه بصورة نهائية، إلَّا على جهود (رومان ياكوبسـون)، وملخَّـص تلـك الجهـود انصبَّت عـلى أنَّ وظيفة النقـد هي الحديث عـن أدبية النصوص الأدبية بمعزل عن كل المقاربات الخارجية، وهذا ما جعلهم ينطلقون من مبدأ هيمنة (الوظيفة الشـعرية) في الشـعر على وظائف اللغة الأخرى، وقد مثّل ياكوبسون لهذه الوظائف التي لا تستغني عنها أية عملية توصيلية بالخطاطة الآتية:

سياق

مرسِل ..... رسالة ... مرسَل إليه

اتصال

سنن

فهذه العوامل يولِّد كلُّ عاملٍ منها وظيفةً لسـانيةً مختلفـة، وبصبِّ الاهتمام على أي عامل من العوامل الستة تتولد وظيفة من الوظائف، فصبُّ الاهتمام على المرسِل يولّد الوظيفة المسماة التعبيرية أو الانفعالية، والتوجه نحو المرسل إليه يولّد الوظيفة الإفهاميّة، والالتفات إلى السياق يولّد الوظيفة المعرفية أو المرجعية، والتوجه نحو عنصر الاتصال تنجم عنه الوظيفة الانتباهية، وصب الاهتمام على الرسـالة يولد الوظيفة الشـاعرية وأخيرًا التوجه إلى الشفرة أو السنن يولد الوظيفة المعجمية التي تؤمّن اشـتراك لغوي بين المرسل والمرسل إليه عبر توضيحها للمفردات

الواردة في النص بمفردات لغوية أخرى، مما يُسهم في إنجاح عملية التوصيل[٤٧].

من هذه الخطاطة يتّضح لنا أنَّ هيمنة الرسالة- أي النص اللغوي المصوغ شعرًا على سبيل المثال- هي ما تُفضي إلى اهتمام كلِّ الوسائط في الإحاطة بها، فتتولَّد الوظيفة الشعريَّة بسبب هذه الهيمنة المُتأتِّية من داخل نسيج النصِّ، ومن الطبيعي أن يكون سبب ذلك عائدًا إلى انزياح لغته، وانحرافها عن القواعد المعياريَّة سواءً أكانت على صعيد النظم الشكلي للنص، أم على صعيد البناء الفكري له، إذن فالانزياح تأتَّى للنص عن طريق الاستعمال الفنِّي المقصود غير المألوف للغة المعيارية المألوفة عند جميع المُتكلِّمين بتلك اللغة[٤٨].

وفي ضوء ما عرضناه عن مفهوم الشعرية، يتّضح لنا أنَّها تقوم على فرادة المستوى النصّي الذي يقوم على اللغة في المقام الأول، وهذا يدفعنا أنْ نضع شعر الرثاء الحسيني للسيد حيدر الحلي، على محكِّ هذا المستوى؛ وذلك لانفراد الشاعر- موضع البحث- بخصيصةٍ تختلف عن كثير من شعراء عصره، وهي محاكمته شعره في رثاء الحسين عليه السلام، فكان لا يُثّبت القصيدة إلَّا بعد أن يقرأها المرة تلو الأخرى، وبعد الاطمئنان، يقرؤها على رهط من فحول الشعراء بعد إعطائه لهم حريّة النقد والمناقشة، فإذا ما تم كل ذلك وافق على نسبتها له، لذا تراه أوّل ما عني بمراثيه لآل البيت عليهم السلام فكان لا يذيع القصيدة إلاّ بعد أن يمّر عليها عامٌ واحد ومن ثمّ يخرجها ويقرؤها ليذيعها في الأندية وبهذا عُرفت مراثيه بـ(الحوليات)؛ لاشتمالها على شعر رصين مركز خالٍ من الحشو، وإذا ما وجد له شعر ركيك فما ذلك إلاّ مما لم يقرأ باسمه في حينه، ولم ينسب إليه في وقته[٤٩].

ولعلَّ الدارس لمُستويات تجلِّي الوظيفة الشعريَّة في النصِّ الشعري يعي أنَّ استيعاب كلِّ هذه المُستويات واستظهارها تطبيقيًّا يأخذُ مساحةً لا تنسجم والبحث الذي أعددناه، فهي كثيرة لا يمكن الوقوف عند محطَّاتها، إلَّا أنَّنا سنقتصر على أهمِّ مُستويين- بحسب وجهة رأي الباحث- سنتعرّف في ضوئهما على تميُّز النص الرثائي الحُسيني للسيد حيدر الحِلِّي، وهما: التناص والمفارقة، وذلك فيما يأتي:

شعرية التناص في الرثاء الحسيني عند السيد حيدر الحلِّي

تعـدَّدت تعريفات مصطلح (التناص)، كما تعددت أشـكاله وآلياته من ناقد إلى آخر ومن مذهب نقدي إلى آخر، وذلك بحسـب الأصول المعرفية التي يسـتقى منها كلُّ اتِّجاه نقدي[٥٠]، وعلى العموم فالتناص هو «أن يتضمن نص أدبي ما نصوصًا أو أفكارًا أخرى سـابقة عليه عن طريـق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشـارة أو ما شـابه ذلك مـن المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشـكَّل نص جديـد واحد متكامـل»[٥١]. وبناء عليه فإن النص هـو قطعة من الفسيفسـاء أو الموزاييك من الشواهد، وهو لا بُدَّ أن يتقاطع أفقيًّا وعموديًّا مع النصوص السابقة، وهذا ما سيجعله مصدرًا لنصوص لاحقة ستكتب بعده[٥٢].

وإذا ما أردنا أنْ نسـتجلي ملامح التناص في شـعر الرثاء الحسـيني عند السـيد حيدر، ممَّا يُعلي مناسـيب (الشـعريَّة) في نصوصه، فلا بُدَّ من الالتفات إلى أنَّ صلته (الثقافية) بمن سلف مـن شـعراء العربية الكبار، ولاسـيَّما صلتـه بالشريف الـرضي وتلميذه مهيـار الديلمي، عبر اطِّلاعهِ على شـعرهما بمختلف موضوعاته، كانت سـببًا وجيهًا لتأثُّر الحِلِّي بشعرهما، ممَّا تمظهر في نصوصه الرثائيَّة في الحسـين عليه السلام، ناهيك عن غيرها التي لا تصبُّ في دائرة الرثاء الحسـيني، وهـذا ما أكَّده الدكتور البصير بقوله: «فما أظنُّ أنَّ للـرضيِّ أو لتلميذهِ مهيار بيتًا واحدًا لم يقرأه حيـدر ولم يفهمه فهمًا كُلِّيًا»(٥٣)، فقد ألَمَّ بكثيرٍ من معاني الشريف الرضي وأودعها في قصائدهِ بقوالبَ من الألفاظ رُبَّما تكونُ- أحيانًا- أقوى وأجزلَ من الأصل كما يرى اليعقوبي[٥٤]، ومن تلك الشواهد ما يأتي:

١. قال السيد حيدر الحلي[٥٥]:

لتُلـقِ الجيـادُ السـابقات عنانَهـا
فليـس لهـا بعـد الحسـينِ مـصرّفُ

وهذا البيت يُومِئُ- لمن يتأمل فيه- إلى بيت الشريف الرضي بقوله[٥٦]:

وَدَعـي الأَعِنَّـةَ مِـن أَكُفِّـكِ إِنَّهـا
فَقَـدَت مُصَرِّفَهـا لِيَـومِ مَغـارِ

٢. وقال السيد حيدر[٥٧]:

عهـدي بهـم قُـصُرُ الأعـمارِ شـأنُهُمُ
لا يهرُمُـونَ وللهيَّابـةِ الهَـرَمُ

وهذا المعنى قد أتى الشريف الرضيُّ عليه في إحدى قصائده، وهو قوله[٥٨]:

إِنَّـما قَـصَّرَ مِـن آجالِنـا
أَنَّنـا نَأنَـفُ مِـن مَـوتِ الهَـرَمْ

٣. قال السـيد حيدر مُستنهِضًا الإمام المنتظر عجل الله فرجه، مُتكلِّمًا باسم جماعة المُسلمين الذين ذاقوا الويل والثبور على أيدي الظالمين من الولاة[٥٩]:

عَجَجْنـا إِليـكَ مِـنَ الظالمـينَ
عجيـجَ الجِـمالِ مـن الناحـرِ

وصـورة الجمال المذعورة من ناحرها تُذكِّرنـا بصورة الجمل المُتأوِّه ألمًا بعد أن أمكن ناحره منه في قول الشريف الرضي[٦٠]:

مُتَأَوِّهًـا تَحـتَ الخُطـو
بِ تَـأَوُّهَ الجَمَـلِ العَقـيرِ

ولا يمكن أن ننكر تأثُّر الاثنين معًا- السـيد حيدر والشريف الرضي- بالتراث الشـعري القديـم، فقول السـيد حيدر (عجيـج الجمال) إنَّما وردت في شـعر العصر الجاهـلي، وهو قول الحارث بن عبّاد[٦١]:

أَصبَحَـت وائِـلٌ تَعِـجُّ مِـنَ الحَـر
بِ عَجيـجَ الجِـمالِ بِالأَثقـالِ

٤. قال السـيد حيدر الحِلِّي في ميميَّته المذكورة آنفًا شـاكيًا إلى الإمام الغائب عجل الله فرجه طول غيابه

عن المسلمين وهُم بأَمَسِّ الحاجة إليه[٦٢]:

الخيـلُ عنـدك ملَّتهـا مرابطهـا
والبيـضُ منهـا عَـرى أغمادَهـا السـأمُ

وهذا ما نجدهُ في شعر الرضيِّ، إذ قال[٦٣]:

إنَّ الجِيـادَ عَـلى المَـرا
بِـطِ تَشـتكي طُـولَ الجَـمَامِ

والمتأمِّل يرى أنَّ تناول السـيد حيدر للمعنى أكثر دقَّةً من تناولِ الرضيِّ، فقد نسـب الملل والتذمـر مـن قعود الخيل إلى المرابط نفسـها، وهذا يعني أنَّ دبيب الملـل قد سرى من الخيل إلى المرابط التي هي بحُكم الجمادات، وقد سـكت الشـاعر عن شـكوى الخيل من ملل سكناها في المرابط إشعارًا بعظيم شكواها؛ لأنَّ السكوت أبلغ كما يُقال.

٥. قال السيد حيدر[٦٤]:

غـداةَ أبـو السـجَّادِ جـاءَ يقودُهـا
أجـادَلَ للهيجـاء يحمِلْـنَ أنـسُرَا

وهـو تشـبيهٌ لأنصار الإمام الحسـين عليه السلام بالنسـور التـي تحملها الصقور، وهـذا ما يشي بتوظيف جميل لبيت الشريف الرضي، وهو قوله[٦٥]:

بِضَوامِـرٍ مِثـلِ النُسـو
رِ وَغِلمَـةٍ مِثـلِ الصُقـورِ

والسـبب الذي أراه كفيلًا بجمالية الصورة التي اشتقَّها السـيد حيدر من الصورة الأصل التي رسـمها الرضي؛ أنَّ الأخير شـبَّه الخيل (الضوامر) بالنسور، والفرسان بالصقور، في حين أنَّ السـيد حيدر قلب الصورة، فشـبَّه الخيل بالصقور تحمل الفرسـان الذين شبَّههم بالنسور؛ وذلك لأنَّ النسر يُعدُّ زعيم الطيورِ كلِّها، أو كما لُقِّبَ بـ(عريف الطير)[٦٦]، فهو أجدر- من باب التشبيه- أن يكون هو الراكب والصقر هو المركوب، وهذا ما كان عليه في النص الحيدري.

٦. وقال السيد حيدر واصفًا صاحبي الإمام الحسين عليه السلام في المعركة: فرسه وسيفه[٦٧]:

ولـه الطِـرْفُ حيـثُ سـارَ أنيـسٌ
ولـهُ السـيفُ حيـثُ بـاتَ ضَجيـعُ

وهذا الوصف مُقارِبٌ لوصف الشريف الرضي نفسه بقوله[٦٨]:

إذا راقَ صُبـحٌ فَالحِصـانُ مُصاحِـبٌ
وَإِنْ عـاقَ لَيـلٌ فَالحُسـامُ ضَجيـعُ

وبحسـب رأي الباحـث إنَّ وصف السـيد حيدر أكثر شـعريَّةً من الصـورة الأصل التي رسـمها الشريف الـرضي؛ وذلك لأنَّ السـيد حيـدر أضفى عليها ما يتناسـب ومقـام الإمام المعصوم، فاقتصد بذكر صفة حصانه (الطرف) وهي من الصفات التي تنفرد بها الخيل الكريمة الأصل، حيث تكون حادَّةً في النظر وهذا يدُلُّ على فرط حساسـيَّتها وذكائها، ولم يكتف بذلك بل جعله يضطلع بدور (الأنيس) الذي لا يُملُّ من صحبته، أما سيفه فهو الضجيع الذي يبيتُ معـه حيثما يبيتُ صاحبه، بخلاف صورة الرضي التي افتقدت حرارة الوصف بذكر (الحصان) مـن دون أي صفةٍ تدلُّ على نجابته، وكذلك بوصفه إياه بـ(الصاحب)، ومعلومٌ أنَّ الصحبة لا تعنـي إضافة أيِّ مزية تشريفية سـوى أنَّها تـدلُّ على المرافقة، ولعلَّ السـيد حيدر بوصفه فرس الإمـام بالصاحب الأنيس، أراد التناص مع المتنبي، ولكن بتحطيمه الثنائيَّة التي ذكرها الأخير في بيته الشهير[٦٩]:

أَعَـزُّ مَـكانٍ في الدُنـى سَرجُ سـابِحٍ
وَخَـيرُ جَليـسٍ في الزَمـانِ كِتـابُ

إذ تحقَّقَ الأنس في أعزِّ مكانٍ- بحسب المتنبي- مع الإمام الحسين عليه السلام الذي تنكَّر له الكثير ممَّن ادَّعى الإسلام في عصره، فتركوه وحيدًا غريبًا يُلاقي أعداءه الذين ينتمون إلى دين جدِّه عليه السلام بحسب ظاهرهم.

٧. وكذلك قول السيد حيدر من القصيدة العينية الآنفة الذكر[٧٠]:

عجبًا للعيون لم تغْدُ بيضًا
لمصابٍ تحمرُّ فيه الدموعُ

وهذا المعنى يتواشج مع قول الشريف راثيا أبا إسحاق الصابي(٧١):

سَوَّدتَ ما بَينَ الفَضاءِ وَناظِري
وَغَسَلتَ مِن عَينَيَّ كُلَّ سَوادِ

وفي بيت السيد تجد أنَّ العيون لم تزل سودًا على هذا المصاب الجلل الذي احمرَّت فيه آفاق السماء فضلًا عن احمرار الدموع حين تُذرَفُ عليه من شِدَّة البكاء المُستمرِّ، أما وصف الشريف، فكان على نطاق مشاعره الشخصيَّة إزاء المفقود، وشتَّان بين المفقودين، لذا حُمِدَ احمرارُ الدمع، بل أكثر من ذلك حين تغدو العيون بيضًا حُزنًا على فقد خامس أصحاب الكساء المعصومين، كما بكى يعقوب النبي على ابنه يوسف الصديق عليهما السلام بحسب الإخبار الإلهي عن حاله: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [سورة يوسف، من الآية: ٨٤].

٨. ومن شعر السيد حيدر الذي تناص فيه- ظاهريًّا- مع شعر الشريف الرضي قوله(٧٢):

تباريحُ أعطينَ القلوب وجيبَها
وقلنَ لها قومي من الوجد واقعدي

إذ جاء مقارِبًا قول الشريف(٧٣):

قَذَفوكَ في غَمّائِها وَتَباعَدوا
عَنها وَقالوا قُم لِنَفسِكَ وَاِقعُدِ

وكذلك من تناصات السيد التي يراها المتأمِّل أنَّها لم تتفوَّق على الصورة الأصل، قوله(٧٤):

إنْ دُعُوا خفُّوا إلى داعي الوغى
وإذا النادي احتَبى كانوا ثِقالا

وهذا المعنى بهذه الألفاظ جاء في قول الشريف(٧٥):

وَتُـرى خِفافًـا في الوَغـى فَـإِذا اِنتَـدَوا
وَتَلاغَـطَ النـادي رَأَيـتَ ثِقـالا

وبحسب رأي الباحث، إنَّ السيد حيدر في هذين التناصين الأخيرين لم يضف شيئًا جديدًا على المعنى، بخلاف التناصات السابقة، ففيها ما بيَّناهُ من إضافات تُحسَبُ لشعريَّة النص لديه.

أمَّا تأثُّرهُ بالشـعراء الآخرين سـوى الشريف الرضي، فكثيرٌ لا يمكنُ لنا أن نتتبَّع كلَّ تلك الإشـارات التناصية في شـعره، ومن تلك الأبيات قولُهُ في وصف الإمام الحسـين عليه السلام وصحبه الذين وقفوا- على قلَّة عددهم- سَدًّا يمنع سيل السهام والرماح والسيوف(٧٦):

فـما عـبروا إلَّا عـلى ظهـرِ سـابحٍ
إلى المـوت لَمَّـا ماجـتِ البيـضُ أبحُـرا

وهذا ما يُذكِّرُنا بقول المتنبي(٧٧):

أَفـرَسُ مَـن تَسـبَحُ الجِيـادُ بِـهِ
وَلَيـسَ إِلّا الحَديـدَ أَمـواهُ

أو قوله- أي السيد حيدر- واصفًا جدَّه الإمام المظلوم بُعَيد شهادته(٧٨):

ومـات كريـمَ العهـد عنـد شـبا القنـا
يُواريـه منهـا مـا عليـه تكسَّرا

وصـورة الجسـد المُوارى بسـلاح العدوِّ المُتكسِّر، تُحيلُنا إلى مـا أبدعه الشـاعر ابنُ هانئ الأندلسي بقوله(٧٩):

لا يـأكُلُ السِّرحـانُ شِـلوَ طعينهـم
ممَّـا عليـهِ مـن القنـا المتكسِّرِ

ونلفِتُ أنَّ السـيد حيدر كان موفَّقا جدَّ التوفيق حين اكتفى بصورة السلاح المتكسر الذي وارى جسـد الإمام عليه السلام، ولم يذكـر الذئاب الكاسرة التي تفـترس كلِّ طريحٍ في أرض المعركة؛ لأنَّهـا على فرض عدم وجود ما يمنعها من الوصول إلى الأشـلاء المنطرحة على أرض الواقعة،

فإنَّها لا تُقدِمُ على ذلك؛ لمعرفتها بأنَّ لحوم المعصومين من الأنبياء والأئمة قد حُرِّمت عليها تكوينًا، فهي تأبى أكل لحومهم، بخلاف أعدائه الذين ابتعدوا عن إنسانيَّتهم بُعد السماء عن الأرض.

وكذلك من شعر السيد حيدر الذي ورد مُعادًا بحُلَّةٍ أبهى، قوله واصفًا بأس الإمام الحسين عليه السلام على أعدائه الطغام(٨٠):

سدَّ فيهم ثغرَ المنيَّة شهمٌ
لثنايا الثغر المخوف طَلوعُ

ففي هذا البيت توظيفٌ لبيتين سارا مسير الشمس والقمر في كتب الأدب العربي ناهيك عن اقتباسهما عند كثيرٍ من شعراء العربية، فصدر البيت تناصَّ مع بيت العرجي(ت ١٢٠هـ)(٨١):

أَضَاعُوني وأَيَّ فتًى أَضَاعُوا
لِيَوْمٍ كريهةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

وعجز البيت تناصَّ مع قول سحيم الرياحي(٨٢):

أَنا ابنُ جَلا وَطَلاعِ الثَنايا
مَتى أَضَعِ العِمامَةَ تَعرِفوني

ومن تناصاته مع النص القُرآني قوله واصفًا شجاعة أنصار الحسين عليه السلام(٨٣):

جعلت بثغر الحتف من زُبر الضُبا
رَدمًا يحوطُ من الردى حُلفاءَها
واستقبلت هامَ الكماة فأفرغَت
قِطْرًا على رَدم السيوف دماءَها

ففي هذا البيت تجد إشارة لطيفة إلى قوله سبحانه وتعالى حكاية عن قصة ذي القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى

﴿إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [سورة الكهف: ٩٥-٩٦]

وهناك من التناصَّات أكثرُ إبداعًا من غيرها ممَّن سلف عرضها؛ إذ تقف على الصورة الكُلِّية في مجموعة من الأبيات الشعرية من دون قرض أيٍّ من مفرداتها، ثمَّ يُعيد الشاعر- بفعل تأثُّره بتلك الصورة- رسم ذلك المشهد بأسلوبه، ولكن يبقى فيه رسيس أثرٍ لا يهتدي إليه القارئ من خلال كلمات هذا النص، وإنَّما بإدراكه المعاني الكُلِّية لتفاصيل ذلك المشهد، فيربط هذا بذاك ذهنيًّا، وهذا- بحسب رأي الباحث- أروع التناصَّات وأبدعها، ومن الأمثلة على ذلك في شعر السيد حيدر الحلي قوله واصفًا الإمام الحسين في لحظاته الأخيرة[٨٤]:

تزيدُ الطلاقةُ في وجهِهِ
إذا غيَّر الخوفُ ألوانَها
ولمَّا قضى للعُلى حقَّها
وشيَّد بالسيف بُنيانَها
ترجَّل للموت عن سابقٍ
له أخلت الخيلُ ميدانَها
ثوى زائدَ البِشر في صرعةٍ
له حبّبَ العزُّ لُقيانَها

وهذا المشهد الذي يُعدُّ أكثرَ مأساوية في مشاهد واقعة الطف، جعله الشاعر أكثر المشاهد عُنفوانًا وبطولةً، حتى يُخيَّل للقارئِ أنَّ الشاعر ليس بصدد رثاء الإمام؛ لما فيه من بثٍ لمعاني البهجة والفرح بالانتصار الساحق، وهذا يستدعي تلك المرثية العظيمة التي غرَّدت خارج سرب القصائد الرثائية في الشعر العربي القديم[٨٥]، والتي قالها أبو تمام (ت ٢٣١هـ) في مُحَمَّد ابن حُميد الطوسي، ومنها[٨٦]:

وقـد كان فـوتُ المـوت سـهلًا فـرَدَّهُ
إليـه الحفـاظُ المُـرُّ والخُلُـقُ الوَعْـرُ
ونفـسٌ تعـافُ العـارَ حتَّـى كأنَّـهُ
هـو الكفـرُ يـومَ الـروعِ أو دونَـهُ الكُفْـرُ
فأثبـتَ في مُسـتنقعِ المـوتِ رجلَـهُ
وقـال لهـا مـن تحـت أخمُصِـكِ الحـشْرُ
تـردَّى ثيـابَ المـوتِ حمْـرًا فـما أتـى
لهـا الليـلُ إلا و هـي مـن سُـنْدسٍ خُـضْرُ

وكذلـك في قولـه في إحدى مرثيَّاته للإمام الحسـين عليه السلام موجِّهًا اللـوم لقومه على إيثارهم السـلامة والعافية، واكتفائهم بذرف الدموع ولطم الصدور، بدلًا من القيام بالسـيف في وجه الولاة الظالمين وأخذ الحقوق التي لا تُنال إلا بالتضحيات الجسام[٨٧]:

أَفَلطـمًا بالراحتـينِ؟ فهـلا
بسـيوفٍ لا تتقيهـا دروعُ
وبـكاءً بالدمـع حزنًـا فهـلاّ
بـدم الطعـن والرمـاح شروعُ

وصورة المواساة (النمطيَّة) التي يرفض الشاعرُ ركونَ قومِهِ إليها، إنَّما يُذكِّرنا بتلك المواساة (الثوريَّـة) التي نقلتها كتب الاختيارات الشـعرية عن عامر بن عمارة المُـرّي المُكنّى بأبي الهيذام (ت ١٨٢هـ)[٨٨] يرثي أخاه[٨٩]:

سـأبكيكَ بالبِيْـضِ الرِّقـاقِ وبالقَنـا
فـإنَّ بهـا مـا يُـدرِكُ الطالـبُ الوِتْـرا
ولسـتُ كَمَـنْ يبكـي أخـاهُ بِعَـبْرةٍ
يُعصِّرُهـا مِـنْ مـاءِ مُقْلَتِـهِ عَـصْرَا

ولَكَـنْ أُرَوِّي النَفْـسَ مِنِّـي بِغَـارَةٍ
تَلهَّـبُ فِي قطـري كتائبُهـا جمـرا
وإنَّـا أنـاسٌ لا تفيـضُ دموعنـا
عـلى هالـكٍ منّـا وإن قصـم الظهـرا

وغير ذلك من الشواهد الكثيرة في شعر السيد حيدر التي إنْ دلَّت على شيء فإنَّما تدلُّ على اغترافـه من الموروث الشـعري القديم، وتمثُّلـه له بطرائق متنوِّعة تثبت براعتهُ في نظم الشـعر، وهذا ممَّا يُحسَـبُ له، وهذا الأمر الذي نثبتهُ للشـاعر يُشكّل تضعيفًا لوجهة نظر بعض الباحثين لشعر السيد حيدر- ومنهم الدكتور علي عباس علوان- التي تذهب إلى «أنَّ تعامل السيد حيدر مع شعر الشريف ومهيار لا يجيءُ على شكل معارضات لأشهر قصائدهما»[٩٠]؛ والسبب الذي ارتكزت عليه هذه النظرة (المُجحِفة) لشعر السيد حيدر تتجلَّى في «قلَّة حظِّه من الجزالة والقُوَّة لا تُمكِّنـهُ من مُجاراة النماذج العالية، وإنَّما هو يلقطُ منها أبرز معانيها في بضعة أبيات»[٩١]، ويبدو لي أنَّ هـذا القول لا يمكن قبوله في توظيف الجيد من التراث الشـعري، وعدم التقيُّد بمحاكاة النـصِّ كلِّه؛ وهذا مـا جعل صاحب القول المذكور آنفًايقع في تناقضٍ واضح، إذ يسـتطرد بعد كلامه السـابق بقوله: «وكثيرًا ما ينسى شاعرُ هذا القرن تجربته فيأخذ بالنموذج الموروث حتَّى يُضمِّنَ معظمه في شـعره فإذا بالصور والأنغام والقوافي وحروف الرويِّ والتراكيب كما وردت عند الشـاعر القديم»[٩٢]، وهذا الكلام لا يمكن أنْ ينطبق على شـعر السـيد حيدر في ضوء ما قدَّمناه؛ إذ لم نجد محاكاةً حرفيَّةً احتذاها السـيد حيدر للشعراء السالفين، فعلامَ- إذن- نتجنَّى على جزالةِ شاعريتهِ؟ وهو الذي بذَّ أقرانه في عصرٍ ازدحم بالشعراء، وكان هو الأبرز بينهم.

شعرية المفارقة في الرثاء الحسيني عند السيد حيدر الحلي

بـدءًا نُذكِّـر أنَّ مصطلح المفارقـة أخذ مدلوله الحـالي بتأثير الدرس النقـدي الغربي، وقد انسرب إلى الدراسات النقدية العربية الحديثة بهذه التسمية، على الرغم من أنَّنا لا ننكر أنَّ هناك من تنبَّه له ولكن ليس بهذه التسـمية، وإنما ورد بتسـميات مثل: التورية، والتهكُّم، والسخرية،

وتجاهل العارف، ومخالفة الظاهر، وتأكيد المدح بما يشبه الذم والعكس، والهزل الذي يُرادُ به الجدُّ. أمَّا مفردة (المفارقة) في اللغة فهي مصدر (فارق) وجذرها الثلاثي (فَرَقَ) نقلت إلى الاسمية.

أمَّا من حيث الاصطلاح فهي من الكثرة تُشكِّل مفارقةً في الدرس النقدي، ونحن إذ نبغي الاختصار نكتفي بأهمِّ تلك التعريفات، ومنها قول الدكتور (عبد الواحد لؤلؤة) عن المفارقة: إنها صيغة بلاغية تعبر عن القصد باستعمال كلمات تحمل المعنى المضاد، ويكون إدراكها يتطلب ذكاء وحسا مرهفًا[٩٣]، وغير بعيد عن ذلك ما رأته الناقدة (نبيلة إبراهيم) من أنَّ المفارقة فن لغوي بلاغي يرتكز على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ[٩٤]، أما (سيزا قاسم) فترى أن المفارقة تعبير غير مباشر يقوم على التورية، والمفارقة في كثير من الأحيان تراوغ الرقابة بأن تستعمل على السطح قول النظام السائد نفسه بيد أنها تحمل في طياتها قولًا مغايرًا له غالبًا ما ينطوي على النقد[٩٥].

ولتبيان هذه المفاهيم بشأن المفارقة نورد قول السيد حيدر مخاطبًا طرفي الصراع (الهاشمي/ الأموي) الَّذين رمز لهما قبائليًا، وهما يعنيان لديه ولدى المُتلقِّين طرفي (الحق/ الباطل) بقوله[٩٦]:

قوِّضي يا خيامَ عليا نزارٍ
فلقد قوَّض العمادُ الرفيعُ
واملئي العينَ يا أُميَّة نومًا
فحسينٌ على الصعيدِ صريعُ

وهذا من المفارقات التي تلفت المُتلقّي أنَّه يريد عكس ظاهر خطابه؛ ولكنه يريد تحريك المجتمع الإسلامي الذي يدّعي الانتماء إلى مذهب أهل البيت، ولكنه آثر السلامة والعافية على الوقوف بوجه الولاة الظلمة، فيلتجئ إلى خطابٍ مُعاكسٍ، فيوظِّف فعل الأمر مع بيان سبب صدور ذلك الأمر، وهذا الأمر يفعل في النفس أثره المضاد بأشد زخمًا من الدعوة المكشوفة إلى الثورة[٩٧]. وكذلك تتَّضح المفارقة في بيت آخر يصف ما يحتاج إليه من دواءٍ ليس من طبيعة

الأدوية التي اعتاد المرضى على تناولها، وذلك بقوله[٩٨]:

لا بـدَّ أن أتـداوى بالقنـا فلقـد
صـبرتُ حتَّـى فـؤادي كلُّـهُ ألمُ

فالقنا (الرماح) هي الدواء! أي إنه يقصد أنَّ التعلل بالصبر عن هضم الحقوق واستلابها، لا ينفع شـيئًا، بل يعـود على صاحبه بمزيدٍ مـن الألم، فانتهاء هذه الحالة المأسـاوية لابُد له من الثورة التي تضمن لصاحبها اسـترداد الحقوق إلى أهلها، أمَّـا الصبر أو «الركون إلى الدمع فإنَّه سلاحٌ لا مكانَ له هنا وإنَّما المكان للسلاح»[٩٩]، فهو الدواء الناجع له وللمجتمع بصفة عامة.

وقـد تفنَّن النُقاد والدارسـون في تعداد أنـواع المفارقات في النصوص الشـعرية والنثريَّة، وهـذا ليس من باب الترف الفكري، وإنـما ضرورة أملتها طبيعة النصوص الخاضعة للتحليل، ولذا سـنقف عند أبرز أنواع المفارقات في شـعر الرثاء الحسـيني عند السـيد حيدر الحلي، وهي مفارقة الموقف؛ وذلك لأنَّ شـعر الرثاء الحسـيني إنَّما بُنِيَ على موقفٍ لم يكن له مثيل في الدهر، وهو يوم الطف الذي استشـهد فيه الإمام الحسـين عليه السلام وثلَّة من أصحابـه، ومن ثَمَّ قام أعداؤهُ بفنون من التنكيل والتعذيب به وبأهل بيته، ممَّا هو ليس بخافٍ على أحد، وسنقوم باستعراض جملة من تلك المفارقات التي رصدتها عدسـة الشـاعر الحلي، مُظهرين مواطن الإدهاش الذي يغذِّي شعرية النص، ويجعل قارئه مُنشدًّا بحيوية لما يرسمه الشاعر، ومن تلك المواقف:

الوقوف عند شخص الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام

حين ينفرد السـيد حيدر بشـخص الإمام الحسـين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام تـراه يحار من أي زاويـةٍ يتناولهـم، وله العذر في حيرته؛ إذ ماذا يصف ويمتدح مـن فضائلهم، وقد امتدحهم الله في كتابـه العزيز، ولكنَّه لا يلوي عنان قلمه عجزًا عن أداء مهمته الشـعرية، فيلجأ إلى تشـكيل مفارقـةٍ ضِدِّية بين طرفي المعركة غير المتكافئة، وهما: آل هاشـم أهل البيت النبوي ممثَّلًا بالإمام الحسـين عليه السلام، وآل بني سـفيان الذين عُرِفوا بكُلِّ رذيلة، وكلِّ ما هو عارٌ قبل الإسـلام وبعده، فيصف أهل البيت بقوله[١٠٠]:

وهـم خـيرُ مَـن تحـت السـماء بأسرهـم
وأكـرمُ مَـن فـوق السـماء وأشرفُ
وهـم يكشـفون الخطب لا السـيف في الوغى
بأمـضى شـبًا منهـم ولا هـو أرهـفُ
إذا هتـف الداعـي بهـم يـومَ مـن دمِ الـ
ـفـوارسِ أفـواهُ الضُبـا تترشَّـفُ
أجابـوا ببيـضٍ طائعًـا يقـف القضـا
إلى حيـثُ شـاءت مـا يـزال يُـصرّفُ

فأهل البيت عليهم السلام هم خير من تحت السماء وأكرم مَنْ فوقها، وهم الذين يكشفون المواقف الصعبة التي تحول بمن يستجير بهم، فالقضاء طوعُ أمرهم يُصرِّف الأمور إلى حيثُ يشاؤون، ولكـن يخونهم القضاء في يوم الطف، إذ يتركهم والمنايا تختطف أرواحهم بسيوف أعدى خلق الله، فلم تشفع لهم سطواتهم التي هزَّت سمع الدهر(١٠١):

لهـم سـطوات تمـلأ الدهـرَ دهشـةً
وتنبـث منهـا الشـمُّ والأرض ترجـفُ
عَجِبـتُ لقـومٍ مِـلءُ أدرعهـم رَدًى
ومِـلء ردائيهـم تُقًـى وتعفّـفُ
يَغُولُهُـمُ غُـولُ المنايـا وتغتـدي
بأطلالِهِـمْ رِيـحُ الحـوادثِ تَعصِـفُ
كـرامٌ قضـوا بـين الأسـنَّة والضُّبـا
كِرامًـا ويـوم الحـرب بالنقـع مُسـدِفُ

وعلى الرغم من شِدَّة ذلك اليوم المأساوي عليهم إلا أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكنْ إلَّا كأبيه أمير المؤمنين عليه السلام الذي شـهدت له سـاحات الوغى بصولاته وجولاته، وهذا ما كان هاجسًـا عند أعداء الحسين عليه السلام إذ إنَّهم تردَّدوا كثيرًا قبل قتله، خوفًا من شدَّة بأس الإمام حتى ولو كان

مطروحًا على رمضاء الطف يجود بنفسه، وهذا ما ألفتنا إليه السيد حيدر بقوله[١٠٢]:

فبات بها تحت ليلِ الكفاح
طروب النقيبةِ جذلانَها
وأصبح مُشتجرًا للرماح
تحلّي الدِما منه مُرّانها
عفيرًا متى عاينته الكماةُ
يختطف الرعب ألوانَها
فما أجلت الحربُ عن مِثله
صريعًا يجبّن شُجعانَها

ففي هذه الأبيات تبرز المفارقةُ جليَّةً حين تجد أنَّ المقتول يأخذ دور المنتصر وذلك عبر عدم اكتراثه بكثرة عدد أعدائه، وهذا ما جعله طروبًا بذكر الله ﷻ مُستأنسًا بمناجاته مع حبيبه وهو في حال كونه مُشتجرًا لرماح أعدائه، ولكن بقي على رغم التراب مُخيفًا للكُماة الذين يُعرفون بالبطولة، فكلَّما رأوهُ على هذه الحالة جعل الرعب يختطف ألوان وجوههم فرَقًا منه، فهنا تحدث (الفجوة/ مسافة التوتُّر) حين يكون المقتول صريعًا على الأرض وفي الوقت نفسه يكون بطلًا يملأ أعدائه جُبنًا وذُعرًا منه.

وفي قصيدةٍ أخرى يقف السيد حيدر مُصوِّرًا تلك الثنائية غير المُتكافئة، حين يطمع أعداؤهُ أن يذيقوهُ الذُلَّ بالانقيادِ لطاعة أميرهم الفاسق يزيد، وهذا أبعد ما يتوقَّعه المسلم أن يصدر من سليل بيت العزِّ والشجاعة والإباء، فضلًا عن كونه الإمام المفترض الطاعة من قبل الآخرين، فكيف يُفرَض منه أن يطيع هوى الآخرين ممَّن غصبوا مقاليد الحكم وعثوا في البلاد والعباد ظُلمًا وفسادًا، لنقرأ ما سطَّرته يراعة السيد الحِلِّي بقوله[١٠٣]:

طمعتْ أن تسومه الضيمَ قومٌ
وأبى الله والحسامُ الصنيعُ

كيـف يلـوي عـلى الدنيَّـة جيـدًا
لِسـوى اللهِ مـا لَـوَاهُ الخُضـوعُ
فأبـى أن يَعيـشَ إلاَّ عزيـزًا
أو تجـلَّى الكفـاحُ وهـو صريـعُ
فتلقّـى الجمـوعَ فـردًا ولكـنْ
كُلُّ عضـوٍ في الـروع منـه جمـوعُ
رُمحُـهُ مِـن بَنانـهِ وكأَن مِـنْ
عزمِـه حـدُّ سـيفه مطبـوعُ
زوّج السـيفَ بالنفـوس ولكـنْ
مهرُهـا المـوتُ والخضـابُ النجيـعُ

يصطدم ذهنُ القارئ حين يجد أنَّ كفَّتي المعركة تُشـكِّل مفارقةً بحدِّ ذاتها، إذ كيف يمكنُ أنْ يتلاقى جيش وصفه السيد بقوله[١٠٤]:

بجمـعٍ مـن الأرض سـدَّ الفـروجَ
وغطَّـى النجـودَ وغيطانَهـا

تتجـلَّى المفارقة بوضوح في هذا النص حين تجد أنَّ الجموع تُجابه شـخصًا واحدًا، وأنَّ هذا الشخص الواحد يُقابل تلك الجموع بمفرده، ولكنَّه أيضًا لديه جموعٌ من العزم والتحدِّي الذي باسـتطاعته أنْ يقابل بأس تلك الجموع ببأسٍ أشـدَّ منه، فكلُّ عضوٍ أضحى جمعًا، فبنانهُ رُمح، وعزمه القاطع على الثبات بتلك المبادئ أضحى سيفًا قاطعًا لكلِّ آمال الجموع الطامعة بإذلاله وإرغامه على بيعة الباطل، ومن ثمَّ كانت المفارقة واضحةً بأن أخبر الشاعر عن تلك الصولات التي شـنَّها الإمام الحسـين عليه السلام على أعدائه جاعلًا أجواء تلك المعركة تشعُّ بالبهجة التي أعلنت زواج سـيف الإمـام بنفوس أعدائه، وكان مهـرُ ذلك الزواج الموت الـزؤام لهم، أما الخضاب فكان نجيع دمائهم التي أراقها ذلك السيف الذي استعار عزم صاحبه.

ومن المفارقات التي رسمها السيد حيدر لأنصار الحسين عليه السلام هو ذلك التهافت على إتلاف

أنفسهم فداءً لإمامهم، وكأنَّهم في سباق مع المنايا، إذ قال[١٠٥]:

يتسابقون إلى الكفاح ثيابُهم
فيها وعِمّتهم قنًا وشِفارُ
متنافسين على المنيَّة بينهم
فكأنَّما هي غادةٌ مِعطارُ

فقد تمثَّلت المفارقة في هذا النص من تسارع الأنصار على ورد حياض المنية، على حين جرت الفطرة الإنسانية على الهرب من الموت، بل أكَّد عليه الشرع الحنيف بقوله ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ١٩٥]. أما هؤلاء فقد أيقنوا أنَّ نجاتهم في الآخرة هو أن يموتوا في سبيل نصرة الإسلام المتمثِّل بالحسين عليه السلام، فكأنَّ صورة الموت التي تسارعوا عليه فتاةٌ حسناء تزَّينت في عيونهم بأبهى الحلل وتعطَّرت بغوالي العطور. ومن الطريف أن نتطرق إلى بيتين في القصيدة نفسها، حاول الشاعر فيهما أنْ يُجلِّي لقارئه سمة المفارقة، إذ وقف على ثنائية (الحر/ العبد)، وهي معلومة لدى القارئ بارتكازاتها التي تشي بكثير من التمايزات العِرقية التي يكون على أساسها معيار المعاملة والتقييم المادي والمعنوي، ولكنه ابتعد عمَّا هو متعارف عليه، حين جعل أصحاب الحسين عليه السلام بين ليلةٍ وضحاها يتحوَّلون من عبيدٍ إلى أحرار، مع احتفاظهم بالسمة الأولى، لنسمعه يقول[١٠٦]:

سمةُ العبيدِ من الخشوع عليهِمُ
لله إن ضمتهم الأَسحارُ
وإذا ترجَّلت الضحى شهدت لهم
بيضُ القواضب أنَّهم أحرارُ

فالعبوديَّة التي اتَّسم بها الأنصار الحُسينيون لم تكن إلَّا لخالقهم، ولذا كان أثرُها جليًّا في صباح يوم العاشر من المحرّم حين وقفوا بين يدي مولاهم الحُسين عليه السلام وأبانوا بصدق كفاحهم أنَّهم أحرارٌ من أهوائهم الشخصيَّة والميول الدنيوية التي تفضي بصاحبها إلى الاستئثار بالنفس من أجل البقاء في عالم الدنيا، فهم عبيدٌ لله ﷻ وأحرارٌ من أهوائهم، ولكنَّ الذي شكل المفارقة

توظيف هذه الثنائية التي مارست حضورها الذهني بدلالةٍ أخرى لدى المتلقي.

المفارقة في موقف أعداء الحسين عليه السلام

إن موقف أعداء الحسين عليه السلام منه يُشكّل مفارقةً بسلوكهم المنحرف عن جادة الصواب مع ادّعائهم أنَّهم ينتمون للدين الإسلامي، وها هم يتسابقون على قتل الإمام الذي شاد جدُّه أعمدة الدين الحنيف، وقاتل كلَّ من أراد طمس معالمه، فيجدر أنْ يُقابلَ بالإحسان والمودَّة لذريّته لا أنْ تُسفك دماؤهم وتُسبى نساؤهم فبهذا الفعل الشنيع فارقوا كل قيم الإسلام، وإن تظاهروا بها نفاقًا، وهذا ما جعل الشعراء يُصوِّرون مدى جسامة الموقف العدائي السافر لهؤلاء القتلة الذين منَّ الرسول صلى الله عليه وآله على أجدادهم يوم فتح مكَّة بالعفو والصفح فهم الطلقاء أو (مسلمة الفتح)، وإلَّا لكانوا في عداد الموتى، وهذا الموقف استدعى شاعرنا السيد حيدر أن يُحاكم بني أمية بقوله[١٠٧]:

فسلْ عبدَ شمْسٍ هلْ يرى جُرمَ هاشمٍ
إليهِ سوى ما كان أسداهُ من يَدِ
وقُلْ لأبي سفيانَ ما أنتَ ناقمٌ
أأمنُكَ يوم الفتح ذنبُ محمَّدِ
فكيف جَزيتم أحمدًا عن صنيعهِ
بسفكِ دم الأطهار من آلِ أحمدِ
غداةَ ابنُ بنتِ الوحي خرَّ لوجهه
صريعًا على حرِّ الثرى المتوقّدِ
... دَرَتْ آلُ حَرْبٍ أنَّها يومَ قتله
أراقت دمَ الإسلام في سيف مُلحدِ

في هذه الأبيات بدت المفارقة على نحو الاستفهام الاستنكاري لردِّ الجميل الذي صنعه الرسول صلى الله عليه وآله مع أعدائه، فكان جزاء هذا الجميل أن يُقتلَ ابنُ بنته عليه السلام، وهذا ما يكشِفُ إلحادهم

في الدين، وبقاءهم على الكفر والضلال.

أما حال أعداء الحسين عليه السلام فقد شكَّل مفارقة، إذ وصف السيد حيدر حال شجعانهم[١٠٨]:

فالشوسُ تأنسُ بالفرارِ كما
بالموتِ منهُ تأنسُ النفسُ
ويروُمُ كلٌّ سبقَ صاحبِه
هربًا فيسبق جسمه الرأسُ

وبيان هذه المفارقة أنَّ الأُنس حاصِلٌ عند الطرفين، وهذا ممَّا يُشكِل في استساغة فهمه لأوّلِ وهلة، وتزداد حدَّة المفارقة حين نقرأ عجز البيت الأول، بأن النفس تأنس بالموت، والمُعتاد عليه أنَّ النفس تأنس بالحياة وتطمئن لها، أما أن يكون الموت مُؤنسًا للنفس، فهذا ممَّا يُعَدُّ مفارِقًا للفهم السائد، ولكن تزول غرابة هذه المفارقة حين نجد أن النفوس الزكية لأهل بيت العصمة تأنس بقرب الله بخلاف نفوس سائر البشر الذين يطمئنُّون بالعيش في هذه الحياة الدنيا، ألم يصف ضرار أمير المؤمنين عليه السلام بأنه «يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا»[١٠٩]، بل ألم يقل أمير المؤمنين عليه السلام نفسُه: **(والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه)**[١١٠]، ومن الطبيعي أن يكون الإمام الحسين عليه السلام على طريق والده.

المفارقة في موقف نساء أهل البيت عليهم السلام

من أشدِّ المواقف مفارقة بين مواقف يوم عاشوراء، هو ما حدث للنسوة التي صحبهنَّ الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، ولذا كان قرار الإمام بأن يأخذ النسوة معه صادمًا لأذهان من كان حوله في المدينة[١١١]، وهذا النمط من التفكير لم يكن يُدرك المغزى الرئيس الذي تحرَّك الحسين عليه السلام من أجله، فلذا تفنَّن الشعراء ومنهم السيد حيدر في رسم صورة المآسي التي أصابت نسوة آل البيت عليهم السلام بعد قتل حُماتهنَّ، وما كانت عليه حالهنَّ قبل ذلك المُصاب الجلل، ممَّا شكَّل مفارقةً حادَّة بين حالين قبل المعركة وبعدها، فقال السيد حيدر مُصوِّرًا تلك المفارقة لحال نسوة آل البيت عليهم السلام ممَّن أتى بهنَّ إلى كربلا[١١٢]:

وأمـضُّ مـا جرَعَـتْ مِـنَ الغُصَـصِ التـي
قَدَحَـتْ بِجَانِحَـةِ الهُـدى إيراءَهـا
هَتْـكُ الطُغـاةِ عـلى بنـاتِ محمـدٍ
حُجُـبَ النبـوَّةِ خِدْرَهـا وخِباءَهـا
... عَجَبًـا لِحِلْـمِ اللهِ وهـي بعينـهِ
بـرزتْ تُطيـلُ عويلهـا وبُكاءَهـا
... حـالٌ لرؤيتهـا وإن شـمت العـدى
فيهـا فقـد نحـت الجـوى أحشـاءَها

في هذه الأبيات تكمن المفارقة في حال نسـوة آل البيت عليهنَّ السلام التي اعتدى عليهنَّ الأعداء بحـرق الخيـام التي كُنَّ يأوين فيها، ولم يكتف الأعداء بذلك بل أقدموا على انتهاب الخيام التي أوينَ فيها، وسـلب ما عليهنَّ من حلي، كلُّ هذا يجري عليهنَّ وهُنَّ مَنْ عُرِفن بالاحتجاب عن الأجانـب، والآن بعد مقتل حُماتها برزن من خدورهنَّ مُذلَّـلاتٍ بعد ذلك العزِّ الذي كُنَّ عليه مع الحسـين عليه السلام وسـائر الأنصار، وفي قصيدة أخرى يقول السـيد حيدر واصفا مأساة نساء آل البيت عليهنَّ السلام(١١٣):

وحائـراتٍ أطـارَ القـومُ أعيُنَهـا
رُعبًـا غـداة عليهـا خِدرَهـا هَجمـوا
كانـت بحيـثُ عليهـا قومُهـا ضربـت
سُرادِقًـا أرضُـهُ مـن عزِّهـم حـرمُ
يـكادُ مِـنْ هَيْبَـةٍ أنْ لا يطـوفَ بـه
حتَّـى الملائـكُ لـولا أنَّهُـمْ خَـدمُ
فغـودِرَتْ بـين أيـدي القـوم حـاسرةً
تُسـبى وليـس لهـا مَـن فيـه تَعتصِـمُ

يُصوِّر الشـاعر روعة المشـهد المأسـاوي الذي حلَّ بحريم الإمام الحسـين عليه السلام، إذ تمثَّلت

المفارقـة في مـا حلَّ بهنَّ وما كانت عليـه حالهنَّ، فالأعداء هجموا على خدرهـا عُنوةً فكان من الطبيعـي أن يطير النوم من أعينهنَّ رُعبًا، وهُنَّ بالأمس كُنَّ في عزٍّ حُماتهنَّ الذين ضربوا سرادق العـزِّ فتهابـه حتى الملائكة من أن تطوف بسرادقهنَّ، لولا أنَّهـا- أي الملائكة- تقوم بخدمتهم، ولكـن ما حدث الآن يكشـف انقلاب تلك الحـال، فهنَّ الآن مسـبيَّات، ولا أحد من حماتهنَّ يعتصمـن به، وهـذه من أعظم الرزايـا التي حلت بـآل البيت عليهم السلام، وهذا مـن أجلى مظاهر المفارقـة التي تعكس «التناقض بين الإنسـان بآماله ومخاوفه وأعماله وبـين القدر المظلم العنيد يقدم مجالًا واسعًا للكشف عن المفارقة المأساوية»[١١٤]، ويؤكد هذا المعنى قوله[١١٥]:

بـأبي كالئًـا عـلى الطـفِّ خِـدرًا
هـو في شـفرة الحسـم منيـعُ
قطعـوا بعـده عُـراه ويـا حبـ
ـلَ وريـدِ الإِسـلام أنـت القطيـعُ
وسروا في كرائـم الوحـي أسرى
وعـداك ابـن امِّهـا التقريـع
لـو تراهـا والعيـس جشَّـمَها الحـا
دي مـن السـير فـوق مـا تسـتطيع
.. فترفَّـق بهـا فـما هـي إلاَّ
نـاضرٌ دامـعٌ وقلـبٌ مـروعُ
لا تَسُـمْهَا جـذبَ الـبُرى أَوَ تَـدري
ربَّـةُ الخِـدْرِ مـا الـبُرى والنُسـوعُ؟

إن المفارقـة التـي تجسَّـدت في النـص تعكـس لنا جسـامة الحدث المـؤلم على نسـاء أهل البيـت عليهم السلام، فحين تقطَّعت عُرى الخباء الهاشـمي بقتل الحسـين عليه السلام كانت الفرصة سـانحةً لأعدائه بالهجوم على مخيَّمِهِ، والاعتداء على نسـائه بالضرب والسلب، ومن ثمَّ أخذهنَّ أسرى يقطعن الصحاري الطويلة إلى الخليفة الفاجر يزيد (لع) لكي يشمت بهنَّ، ولذا وصف الشاعر

يوم سَوقِ نساء الإمام الشهيد عليه السلام بأنَّه أجلُّ يومٍ في الإسلام، بقوله[١١٦]:

وأَجـلُّ يـومٍ بعـد يومـك حـلَّ في الـ
إِسـلام منـه يشـيبُ كلُّ جنـينِ
يـومٌ سرت أسرى كـما شـاء العـدى
فيـه الفواطـمُ مـن بنـي ياسـينِ
أُبـرزن مـن حـرم النبـيّ وإنَّـه
حـرمُ الإلـه بواضـحِ التبيـينِ
مـن كلِّ محصنـةٍ هنـاك برغمهـا
أضحـت بـلا خـدرٍ ولا تحصـينِ
سُـلبت وقـد حجـبَ النواظـرُ نَورُهـا
عـن حُـرّ وجـهٍ بالعفـاف مصـونِ
.. فغـدت بهاجـرة الظهـيرة بعدمـا
كانـت بفيَّـاح الظِـلال حصـينِ

وفي هذه الأبيات نجد أنَّ المفارقة تتجلَّى بإبراز نسـاء أهل البيت عليهم السلام من الخدور التي ما كان لها أن تُسبى لولا قتلُ الأقمار من آل محمَّد صلى الله عليه وآله، وهنا مفارقةٌ عظمى يصورها الشاعر بإبراز عظمـة هذه النسـاء، وذلك بجعلِ عفافهنَّ العلـوي نورًا خطف نواظر القـوم وصرفه عنهنَّ، بقوله: (سُلِبت وقد حجب النواظرَ نورُها) فالسَلْبُ تحقَّقَ وفي الوقتِ نفسهِ تحقَّقَ السترُ بجلال نور الله لأوليائه، وهذا مُفارِقٌ لما هو معروف في مثلِ هذه الحالة.

ومـن المواقـف التي شـكّلت مفارقةً ضِدّية لدى الشـاعر وهو يتتبّع مسـير نسـاء الإمام الحسـين عليه السلام أنّه يجد مثول هذه النسـوة إزاء الطاغي يزيد، وهذا ما يسـتدعي مزيدًا من الأسى المُوجـب لإزالـة القلب عن مسـتقرّه، ويـترك الغيظ مشـتعلًا في الصـدر، ومن المعـروف أنَّ المتناقضـين لا يجتمعان، وهذا الموقف يمثّل اجتماع نقيضـين تمثّلا بقُطبي الكفر (يزيد الطاغي) والإيمان (نساء أهل البيت عليهم السلام)، وهذا المشهد صوّره لنا السيد حيدر بقوله[١١٧]:

وممَّا يُزيل القلبَ عن مُستقرّه
ويترك زندَ الغيظِ في الصدر واريا
وقوفُ بنات الوحي عند طليقِها
بحالٍ بها يُشجينَ حتَّى الأعاديا

ففي هذا النص تشتدُّ وتيرة المفارقة حدَّة؛ لأنَّها صورت وقوف بنات الوحي والرسالة إزاء الطاغية وهن أسارى، ومن المعروف أن هذه النساء تمثِّل قطب الحق الذي لا يلتقي أبدًا مع قطب الباطل، فهما «على طرفي نقيض من بعض، والإشكاليَّة تكمُنُ عبر الجمع بينها، وهو ما يستدعي تفاعلًا دلاليًّا مُعيَّنًا»(١١٨).

وفي هذه النماذج التي استعرضناها وغيرها من النماذج التي تصوِّر مشهد نساء أهل البيت عليهم السلام بعد الواقعة وما كُنَّ عليه قبلها، يلاحظ المُتأمِّل أنَّ هذه المشاهد شكَّلت مفارقة في طريقة رسم السيد حيدر لمأساة يوم الطف، إذ تميَّزت أجواء الرثاء الحسيني لديه بالعزَّة والشمم حتى يكاد لمن يقرأ شعره من دون الرجوع إلى المتن التاريخي، أنَّ النصر الواقعي- أو ما يوصف بالنصر المادي- قد تحقَّق للإمام الحسين عليه السلام، ولكنَّه- أي القارئ- ما أن يصل إلى حال النساء وما جرى عليهنَّ، ينكسرُ أفق توقُّعه، وتنخذل مسارات استشرافه نهايات الحدث بالصور المهولة التي ترسمها مخيلة الشاعر، وهذا- برأي الباحث- شكَّل مفارقة فنِّية تجلَّت في صوغ جوانب الواقعة بشكل «يبدو معه المشهد متماسكًا موحَّدًا وإنْ تعدَّدت مقوماته، فمثلًا قلَّ أنْ يجتمع الفخر والتفجع وقد جمع بينهما. كما أنَّ لغة الموتور لا تلتقي مع لغة التقييم وقد التقت عنده [...] وسلك كلَّ ذلك في صيغة يؤطِّرها النوح الموتور وصدق العاطفة البعيد عن التعمُّل»(١١٩).

وفي ختام ما استعرضناهُ من أشعار رثائية للسيد حيدر الحلي، يتبيّن لنا مدى القدرة الفنية التي تجلّت في شعريّته، وجعلت من شعرهِ الرثائي في الحسين عليه السلام يتميّز على سائر فنون الشعر التي طرقها؛ وذلك للأسباب التي عرضنا لها فيما سبق، وهي كفيلةٌ بتقديمه على جميع شعراء عصره.

الخاتمة

درس البحث شعريَّة الرثاء الحسيني عند السيد حيدر الحلي، وقد توصّل إلى النتائج الآتية:

- سلَّط البحث الضوء على أثر العوامل الذاتية والموضوعيّة التي نرى لها مدخلًا في تبلور شعريَّة الرثاء الحسيني في شعر السيد حيدر الحلي.
- وجد البحث أنَّ التنويعات على فنِّ الرثاء (التأبين، الندب، النعي، التأسّي) لم تخرج كلُّها عن إطار امتداح الفقيد واستحضار سيرتهِ مصحوبًا ذلك الاستحضار بتحشيد مشاعر الحزن عليه، وهذا التحشيد إنما يتم بنسب مختلفة وبطرائق متعددة من شاعر لآخر.
- أما بشأن شعرية النصّ الرثائي، فنشير إلى أنَّ البحث وقف على عناية الشاعر حيدر الحلّي باختيار المفردة، وذلك ما جعله (يُحكّك) شعره، وذلك بتجويدهِ صقل النصّ، واعتنائه بالجوانب الفنية التي تُظهر شعره أجمل من الآخرين، وتلافي الهنات التي يقع فيها أقرانه حين يكون نظمهم مرتجلًا.
- وبصدد بيان التناص بوصفه أحد مستويات تجلّي شعرية النص، أظهر البحث لنا أنَّ شعر السيد حيدر الحلّي قد ملك ناصية التناص، حتّى جعله مطواعًا بين يديه، فأظهر لنا إمكانيةً عالية في تذويب نسج المتقدمين من الشعراء في بودقته الفنية الخاصة ومن ثمّ صبّها بأسلوبٍ يتناسب والغرض الذي ينظم فيه، وذلك حين يُضيف على الصورة الشعرية التي استفادها منهم، ويُلقي عليها بما يتناسب وجلال مقام المرثيّ الذي بصدد تأبينه.
- أمّا بشأن المفارقة، فقد تجلّت كذلك في رثائه الحسيني، وذلك التوظيف إنّما يأتي به لأجل استشعاره عِظَمَ المفارقة بين الجانبين، وهذا الأمر دفعه أنْ يستحضر كلا القطبين في كثير من رثائه، ومن ثمّ يُقارن مواقف كلِّ جانب، ومن الطبيعي أنْ يميل لجانب الحق المتمثل

بأهل البيت؛ لأنّه الجانب الذي يمثّل الإنسانية بأنصع صورِها بعكس الجانب الآخر الذي يمثّل الشرَّ والظلام والكفر بعينه والبعد عن أدنى قيم الإنسانيّة.

- فنّـد البحث كثيرًا من مقـولات الباحثين التي تُعبّر عن مطلقيّتها، ومـن ثمّ عدم إنصافها لشعر الرثاء الحسيني للسيد حيدر الحلي، وتمّ ذلك عبر استعراضنا التطبيقي لنماذج مختارة من شـعر الشـاعر، فكانت تلـك الأحكام في ضوء مـا عرضناه، لا صحّـة لتعميمها، بل يمكـن القول إنّها تكشـف عن عدم دقّتها الموضوعية، فضلًا عـن ابتعادها عن مرتكزات النقد الأدبي القائم على التعليل الدقيق.

هوامش البحث

(١) ينظر: البابليات، محمد علي اليعقوبي: ٢/ ١٥٤.

(٢) ينظر: معجم الشعراء العراقيين، جعفر صادق حمودي: ١٣٠.

(٣) الساباط: والسّاباطُ: سَقيفَةٌ تَتَّصِلُ بين حائِطَيْن. ينظر: معجم ديوان الأدب، الفارابي: ١/ ٣٧٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٥٥.

(٥) ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق، د. علي عباس علوان: ٣٤.

(٦) ينظر: الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، د. يوسف عز الدين: ٩٣.

(٧) ينظر: نهضة العراق الأدبية في القرن الثالث عشر للهجرة، د. محمد مهدي البصير: ٥٧.

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٤٢.

(٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٨.

(١٠) ينظر: الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، إبراهيم الوائلي: ١١٠.

(١١) مثل آل النقيب في بغداد وآل العمري في الموصل وآل كاشف الغطاء في النجف وآل قزوين في النجف والحلة وآل كبّة في الحلة، ينظر: نهضة العراق الأدبية: ٤٠.

(١٢) ينظر: الشعر السياسي العراقي: ١٠٨.

(١٣) ينظر: الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر: ٩٧.

(١٤) ينظر: نهضة العراق الأدبيَّة: ٥٢.

(١٥) ديوان السيد حيدر الحلي، تحقيق: الدكتور مضر سليمان الحلي: ١/ ٢١٤-٢١٥.

(١٦) ديوانه: ٢/ ٥.

(١٧) ينظر: البابليات: ٢/ ١٥٦، وقد نقل اليعقوبي هذا الخبر عن السماوي في كتابه (ظرافة الأحلام)، والقصيدة موجودة بكاملها في ديوان السيد حيدر: ١/ ٦٧، وهناك كرامة أخرى في عالم الرؤيا، نقلها حسن الأبطحي في كتابه (الكمالات الروحية): ١٢٩-١٣٠.

(١٨) ديوانه: ١/ ١٦٧.

(١٩) ديوانه: ١/ ١٢٧.

(٢٠) ينظر: إحياء القلوب، حيدر الحسيني: ١٩٧-٢٠٠.

(٢١) ينظر: نهضة العراق الأدبية في القرن الثالث عشر للهجرة: ٤٢.

(٢٢) ديوانه: ٢/ ١٨١.

(٢٣) شعراء الحلة أو البابليات، علي الخاقاني: ٢/ ٣٣٣.

(٢٤) ديوان محسن الخضري: ١٤٩.

(٢٥) شعراء الحلة أو البابليات: ٢/ ٣٣٣.

(٢٦) ينظر: البابليات: ٢/ ١٥٥، وشعراء الحلة أو البابليات: ١/ ١٦٠، والقصائد الخالدات في حب آل البيت، محمد عباس الدراجي: ١٠٧.

(٢٧) كتاب العين: ٢/ ٩٧.

(٢٨) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت: ٢٨١.

(٢٩) لسان العرب، ابن منظور، (أبن): ١/ ١٣.

(٣٠) ينظر: الرثاء، د. شوقي ضيف: ٦

(٣١) المصدر نفسه، (عزا): ٣٢/ ٢٩٣٤.

(٣٢) ينظر: الرثاء: ٦.

(٣٣) ينظر: المصدر نفسه، (أسى): ١٤/ ٣٥.

(٣٤) ديوان الخنساء، شرح ثعلب: ٣٢٧.

(٣٥) المصدر نفسه، (ندب): ٤٨/ ٤٣٨٠.

(٣٦) الرثاء: ٦

(٣٧) لسان العرب، (نعى): ١٥/ ٣٣٤.

(٣٨) نقد الشعر: ١٧.

(٣٩) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/ ١٣٩.

(٤٠) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٦/ ٢٣١.

(٤١) المصدر نفسه: ٢٦/ ٢٣١.

(٤٢) المصدر نفسه: ٤٤/ ٢٨٢.

(٤٣) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي: ٥/ ١.

(٤٤) ينظر: أدب الطف، جواد شبر: ٥- ٩.

(٤٥) الشعرية العربية في التراث النقدي، حسين مزدور، بحث في مجلة الموقف الأدبي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق، العدد (٤١٤، ٢٠٠٥): ٥٨.

(٤٦) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٦٩.

(٤٧) ينظر: قضايا الشعرية: ٢٨-٣١، وينظر: نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث، سحر كاظم الشجيري: ٢٦٧.

(٤٨) ينظر: مفاهيم الشعرية: ١٢ وما بعدها.

(٤٩) ينظر: ديوان السيد حيدر الحلي: ١٥.

(٥٠) ينظر: النص الغائب- تجليات التناص في الشعر العربي، محمد عزام: ٢٠.

(٥١) التناص نظريا وتطبيقا، د. أحمد الزغبي: ١١.

(٥٢) المصدر نفسه: ١١.

(٥٣) نهضة العراق الأدبية في القرن الثالث عشر للهجرة: ٥٣.

(٥٤) البابليات: ٢/ ١٥٧.

(٥٥) ديوانه: ١٣٥.

(٥٦) ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت، ١٩٦١م: ١/ ٤٩٠. وأشير أني لم أتناول الطبعة العلمية المحققة من ديوان الشريف الرضي بتحقيق الدكتور محمد مضر الحلو؛ لأنّها غير كاملة الأجزاء، فلذا قصدنا طبعة دار صادر؛ لاستيفائها شعر الشريف الرضي.

(٥٧) ديوانه: ١/ ١٥٣.

(٥٨) ديوان الشريف الرضي: ٢/ ٤٢٦.

(٥٩) ديوانه: ١/ ١٠٧.

(٦٠) ديوان الشريف الرضي: ١/ ٤٢٩.

(٦١) شعراء النصرانية، جمعه ووقف على طبعة وتصحيحه: رزق الله بن يوسف ابن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠م: ٣/ ١١٥.

(٦٢) ديوانه: ١/ ١٥١.

(٦٣) ديوان الشريف الرضي: ٢/ ٣٤٨.

(٦٤) ديوانه: ١/ ١١١.

(٦٥) ديوان الشريف الرضي: ١/ ٤٢٨.

(٦٦) ينظر: حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري: ٢/ ٤٧٤، ٥١٥.

(٦٧) ديوانه: ١/ ١٢٤.

(٦٨) ديوان الشريف الرضي: ١/ ٦٢١.

(٦٩) شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي: مج١، ١/ ٢٢٣.

(٧٠) ديوانه: ١/ ١٢٣.

(٧١) ديوان الشريف الرضي: ١/ ٣٨٤.

(٧٢) ديوانه: ١/ ٩٩.

(٧٣) ديوان الشريف الرضي: ١/ ٣٥٢.

(٧٤) ديوانه: ١/ ١٤٦.

(٧٥) ديوان الشريف الرضي: ٢/ ٢٠٤.

(٧٦) ديوانه: ١/ ١١١.

(٧٧) ديوان المتنبي: مج٢، ٢/ ٢٩٥.

(٧٨) ديوانه: ١/ ١١٢.

(٧٩) ديوان ابن هاني الأندلسي: ١٦٢.

(٨٠) ديوانه: ١/ ١٢٤.

(٨١) ديوان العرجي، جمعه وحققه وشرحه: د. سجيح جميل الجبيلي: ٢٤٦.

(٨٢) الأصمعيات، اختيار الأصمعي: ١٧.

(٨٣) ديوانه: ١/ ٦٩-٧٠.

(٨٤) ديوانه: ١/ ١٥٩.

(٨٥) ذكر العباسي (ت ٩٦٣هـ) صاحب (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص) أنَّه لما أنْشد أَبُو تَمام أَبَا دلف الْعجلِيّ قصيدته البائية الَّتِي أَولهَا:

عـلى مثلهَـا مـن أَربـع وملاعـب
أُذِيلـتْ مَصونـاتُ الدُّمـوع السـواكب

استحسنها وَأَعْطَاهُ خمسين ألف دِرْهَم وَقَالَ: وَالله إِنَّهَا لدونَ شعرك ثمَّ قَالَ وَالله مَا مثل هَذَا القَوْل فِي الْحسن إِلَّا مَا رثيت بِهِ مُحَمَّد بن حميد الطوسي، فَقَالَ أَبُو تَمام: وَأي ذَلِك أَرَادَ الْأَمِير قَالَ قصيدتك الرائية الَّتِي أَولهَا: كَذَا فليجل الْخطب وليفدح الأَمر،.. إلخ وددت وَالله أَنَّهَا لَك فِيَّ، فَقَالَ بل أفدي الْأَمِير بنفسي وَأَهلي وأكون المُقدم قبله فَقَالَ إِنَّه لم يمت من رُثِيَ بِهَذَا الشّعْر. وهذا المعنى قد ورد مع السيد حيدر، إذ قال له السيد صالح القزويني حين سمعه يرثي أحد الأعلام: (إنَّ رثاءكَ يُحَبِّبُ إلينا الموت)، ينظر: البابليات: ١/ ١٦٠.

(٨٦) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبدة عزام: ٤/ ٨٠-٨١.

(٨٧) ديوانه: ١/ ١٢٦.

(٨٨) وهو عامر بن عمارة بن خريم الناعم ابن عمرو بن الحارث الغطفانيّ المري، أحد فرسان العرب المشهورين. أصاب اليمانية منه في فتنتهم مع المضرية، في الشام وأطرافها، ما لم يصبهم من غيره. وكانت تزحف عليه الألوف من الجند والمقاتلة، وهو في العدد اليسير، فيصمد لهم حتى يهزمهم. ولم يذكر عنه أنه انهزم قط. واحتال عليه أحد ثقاته فقيّده، وحمل إلى هارون بالرقة، فعفا عنه وأطلقه. ينظر: الأعلام، الزركلي: ٣/ ٢٥٣.

(٨٩) الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج ابن الحسن: ١/ ٢٣٩. ونُسبت هذه الأبيات لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن في أخيه النفس الزكية حين قتل، ينظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري: ٤/ ١٠٩.

(٩٠) تطور الشعر العربي في العراق- اتجاهات الرؤية وجماليات النسيج: ٦٣.

(٩١) المصدر نفسه: ٦٣.

(٩٢) المصدر نفسه: ٦٣.

(٩٣)ينظر: الترميز ـ موسوعة المصطلح النقدي: ٩٥ (هامش).

(٩٤) ينظر: المفارقة- بحث، نبيلة إبراهيم: ١٣٢.

(٩٥) ينظر: المفارقة في القص العربي المعاصر: ١٤٣.

(٩٦) ديوانه: ١/ ١٢٦.

(٩٧) ينظر: مناورات الشعرية، د. محمد عبد المطلب: ٢١٢.

(٩٨) ديوانه: ١/ ١٥٠.

(٩٩) تجاربي مع المنبر، الشيخ الدكتور أحمد الوائلي: ٢٣٤

(١٠٠) ديوانه: ١/ ١٣٣.

(١٠١) ديوانه: ١/ ١٣٤.

(١٠٢) ديوانه: ١/ ١٥٩-١٦٠.

(١٠٣) ديوانه: ١/ ١٢٤.

(١٠٤) ديوانه: ١/ ١٥٨.

(١٠٥) ديوانه: ١/ ١١٧.

(١٠٦) ديوانه: ١/ ١١٩.

(١٠٧) ديوانه: ١/ ٩٩.

(١٠٨) ديوانه: ١/ ١٢١.

(١٠٩) الأمالي، أبو علي القالي: ٢/ ١٤٧.

(١١٠) نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده: ١/ ٤١.

(١١١) وذلك حين جاء محمد بن الحنفية إلى أخيه الحسين عليه السلام، في الليلة التي أراد الحسين عليه السلام الخروج في صبيحتها عن مكة المكرمة. فقال له: يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك عليهما السلام، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فانك اعز مَن بالحرم وأمنعه. فقال عليه السلام: **(يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون بذلك أول من تستباح به حرمة البيت)**. فقال له ابن الحنفية: فان خفت ذلك فصر إلى اليمن، أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك احد. فقال عليه السلام: **(أنظر فيما قلت)**. فلما كان السحر، ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه، وأخذ بزمام ناقته، وقد ركبها، وقال: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال عليه السلام: **(بلى)**، قال: فما حداك على الخروج عاجلًا. قال عليه السلام: **(أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله، بعدما فارقتك، فقال صلى الله عليه وآله: (يا حسين أخرج فان الله قد شاء أن يراك قتيلا)**، فقال ابن الحنفية: إنَّا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ فقال عليه السلام: **(قال لي صلى الله عليه وآله: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا)**، فسلّم عليه ومضى. اللهوف على قتلى الطفوف، ابن طاووس: ٢٧-٢٨.

(١١٢) ديوانه: ١/ ٧١.

(١١٣) ديوانه: ١/ ١٥٣.

(١١٤) ينظر : المفارقة وصفاتها : دي. سي. ميويك : ٣٣، ٣٤.

(١١٥) ديوانه: ١/ ١٢٥.

(١١٦) ديوانه: ١/ ١٦٥.

(١١٧) ديوانه: ١/ ١٦٨.

(١١٨) الإشارة الجمالية في المثل القرآني، د.عشتار داود محمد: ١٦٥.

(١١٩) تجاربي مع المنبر: ٢٢٨.

مصادر البحث ومراجعه

١. إحياء القلوب، حيدر الحسيني، د.ط، د.م، د.ت.

٢. أدب الطف، جواد شبر، قدم له العلامة محمد جواد مغنية، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤م.

٣. الإشارة الجمالية في المثل القرآني، د. عشتار داود محمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

٤. الأصمعيات اختيار الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٧، ١٩٩٣م.

٥. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٦. الأمالي، أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٢٦م.

٧. البابليات، محمد علي اليعقوبي، مطبعة الزهراء، النجف، ١٩٥١م.

٨. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٩. بلاغة الخطاب وعلم النص، تأليف : د. صلاح فضل، سلسلة كتب عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢.

١٠. تجاربي مع المنبر، الشيخ الدكتور أحمد الوائلي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت

١١. تطوُّر الشعر العربي الحديث في العراق اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج، د.علي عباس علوان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، سلسلة الكتب الحديثة (٩١)، ١٩٧٥م.

١٢. الترميز (موسوعة المصطلح النقدي)، جون ماكوين، ت: د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠.

١٣. التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، د. مجاهد مصطفى بهجت.

١٤. الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري (ت: ٦٥٩هـ)، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

١٥. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد ابن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء(ت ٨٠٨هـ)،

دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤ هـ.

١٦. ديوان ابن هاني الأندلسي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

١٧. ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبدة عزام، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م.

١٨. ديوان الخنساء، شرح ثعلب، حققه الدكتور أنور أبو سويلم، ط١، دار عمار، عمّان، الأردن، ١٩٨٨م.

١٩. ديوان السيد حيدر الحلي، تحقيق: الدكتور مضر سليمان الحلي، ط١، منشورات شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠١١م.

٢٠. ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت، ١٩٦١م.

٢١. ديوان العرجي، جمعه وحققه وشرحه: د. سجيح جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢٢. ديوان محسن الخضري، جمعه وعلق عليه، عبد الغني الخضري، النجف، المطبعة العلمية، ١٩٤٧م.

٢٣. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري (ت ٥٨٣هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٤. الرثاء، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٧م.

٢٥. شعراء الحلة أو البابليات، علي الخاقاني، المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٥٢م.

٢٦. شعراء النصرانية، جمعه ووقف على طبعة وتصحيحه: رزق الله بن يوسف ابن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٠م.

٢٧. الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، د. إبراهيم الوائلي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦١م.

٢٨. الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، د. يوسف عز الدين، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

٢٩. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق (ت ٤٥٦هـ)، حققه وفصله وعلق عليه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م.

٣٠. القصائد الخالدات في حب آل البيت، محمد عباس الدراجي، نشر وتوزيع مكتبة الأمير، ط٢، د.ت.

٣١. معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣٢. المفارقة، نبيلة إبراهيم، بحث في مجلة فصول المصرية، المجلد (٧)، العدد (٣-٤)، ١٩٨٧.

٣٣. المفارقة في القص العربي المعاصر، سيزا قاسم، بحث في مجلة فصول المصرية، المجلد (٢)، العدد (٢)،

١٩٨٢.

٣٤. المفارقة وصفاتها، موسوعة المصطلح النقدي(١٣)، د. سي. ميويك، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧.

٣٥. قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨.

٣٦. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، تصحيح: الأستاذ: أسعد الطيِّب، مط أسوة، طهران، ط٢، ١٤٢٥هـ.

٣٧. الكمالات الروحية عن طريق اللقاء بالإمام صاحب الزمان، حسن الأبطحي، مؤسسة الأعلمي، د.م، د.ت.

٣٨. لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٣٩. اللهوف على قتلى الطفوف، السيد رضي الدين علي بن موسى بن محمد الحسيني المعروف بابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، النجف، ١٩٥٠م.

٤٠. مستدرك سفينة البحار، العلامة آية الله الشيخ علي النمازي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ط٣، د.ت.

٤١. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن ابن أحمد العباسي (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٤٢. معجم الشعراء العراقيين، جعفر صادق حمودي، نشر وتوزيع شركة المعرفة للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٩١م.

٤٣. مناورات الشعرية، د. محمد عبد المطلب، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

٤٤. نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث، سحر كاظم حمزة الشجيري، مؤسسة دار الصادق عليه السلام الثقافية، العراق بابل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م.

٤٥. نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت ٢٣٧هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، ١٩٦٣م.

٤٦. نهج البلاغة، شرح: الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت.

٤٧. نهضة العراق الأدبية، د. مهدي البصير، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٤٦م.

٤٨. مجلة الموقف الأدبي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق، العدد (٤١٤)، ٢٠٠٥.